

كتاب في تفسير سورة الفتح مسمى بفتح البيان ١٩

هذا فتح البيان لحصول النصر والامان

لناسخه الفقير

ولقد نظرت فما وجدت هدية • تهدى اجل من الدعا الصالح •
فهديته وتمنيت قبوله •• وقرنته له بالثناء الفائح •

وله

كتاب فاخر كالدر لطفا • جرى شانه بالنور سطرا •

وله

لا زال في دور سعد لا انقضاء له • وظل عز عزيز غير منحسر •

وله

وكم وكم من خلال ليس يحصيها • من رامها هل يعد القطر في مطر •
ماذا يقول بليغ في مدائحه • لو جاء في نظمه بالزهر والزهر •

وله

عزيزي ملاذي ملجائي باب حاجتي • مغيثي معيني سيدي سندي سعدي •

وله

ضياء الخلافة منه بدا •• فاشرقت الارض من نوره •
سعى للرعايا لرفع العدا • عم الارض في وسع مقدوره •
فابقاه رب الورى سالما • الى يوم ينفخ في صوره •

يا فتاح

سيفه الصارم كالشمس بدا • فمحا اليوم ظلام الكفر •
زكت الارض وما اطهرها • من شرار بدماء الحمر •
ايد الله تعالى ملكا • ما خلا الغزو جميع العمر •

اللهم اجعلنا من الغزات والمجاهدين ولا تجعلنا من المتخلفين القاعدين الذين قعدوا في ديارهم بحب الاولاد والازواج والاموال والبساتين

وهذا الدعاء وفق قوله عليه السلام من لم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق اعاذنا الله ان نكون من الذين تركوا الجهاد ولم يتمنوا له تم

الم يرضك الرحمن في سورة الضحى
فحاشاك ان ترضى وفينا معذب

من كسب العبد الراجي شفاعة
سيد الكونين حاجي قنبر
ناظر الحرمين الشريفين
سنة ١١٤٢

هذا الكتاب الجليل والسفر اللطيف الجميل من وقف صاحب الخيرات الحسان باذل البر والاحسان الآن وهو الحاج بشير اغا دار السعادة ذو المقاصد السنية الحائز بمآثر الاخلاق الكريمة منور مصباح بانوار الهداية مفتح معاقد معالم التنزيل بمفتاح الكفاية واقف مواقف العلم والعمل طالع مطالع البر الاكمل جعله الله تعالى محفوظاً الى يوم القيام بعينه التي لا تنام حرره العبد الفقير الى الله الملك المعين محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين غفر له





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح لعباده المؤمنين فتحاً مبيناً
وأنزل السكينة في قلوبهم ونصرهم نصراً عزيزاً
وأنعم عليهم نعمه الظاهرة والباطنة وهداهم صراطاً
مستقيماً ● والصلوة على من أرسله رحمة للعالمين
وجعله سراجاً منيراً ● وعلى آله وأصحابه الذين بايعوا
نبينا تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ● وأثابهم فتحاً قريباً ●
وبعد فيقول أضعف عباد الله الشيخ عبد الحي الشيخ الرحيم ●
لما توجه سلطاننا السلطان الأعظم ● والخاقان الأفخم ● ●
الى الجهاد في هذه السنة مع الغزاة والمجاهدين ● كثرهم الله



44

تعالى الى يوم الدين فاردت ان اتوجه الى الله تعالى لنصرتهم
وتأييدهم بالدعاء والتضرع وفق قوله صلى الله عليه وسلم
جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم قيل المراد
بالألسنة الدعاء والتضرع الى الله تعالى لانهزامهم كذا في
المشكوة ● فلما شاهدت الحال ● على هذا المنوال الزمت
قرع باب المناجات منتظراً الى رحمة الله الملك الجبار ●
ومتذكراً قول النبي المختار ● عليه صلوات الله وعلى آله
وصحبه الأخيار بقول الله تبارك وتعالى من شغله
القرآن عن ذكري ومسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي
السائلين كذا في المشكوة فوجدت القرآن أفضل وسيلة
الى ذلك المطلب الأعلى والمقصد الأسنى فاردت أن أبين
نبذة من تفسير بعض السور القرآنية ● وتأويل بعض الحكم
الفرقانية وخصصت سورة الفتح من بينها وشمرت عن ساق الجد
لتفسيرها وتبيينها ● مع قصصها ورواياتها جامعاً وردت عليها
الآثار ● والأقوال من العلماء الأبرار من المتقدمين و
المتأخرين الأخيار ● اللهم اجعلنا من الذين يجاهدون
الكفار ● بحرمة حبيبك ورسولك النبي المختار وافتح اللهم
أبواب رحمتك للغزاة والمجاهدين في هذه السنة وهيئ
لهم من أمرهم رشداً ● وانصرهم نصراً عزيزاً ● وأيدهم بالإمداد

الشين بفتح الشين عيب ونقصان

الضير ضرر وزيان وخورلق ونقص يقال

تضعضع خور وذليل اولور من شعشعة سيفه اول سلطانك قليجنك يلدرمه سندن بعيد شهراولك واليلرى خور وذليل اولور

وتزلزل متزلزل اولور من جعجعة حربه اول سلطانك حربنك صدا سندن متزلزل اولور [illegible] اهل كفر واهل فساد شهرلرى

الملكوتي الذي وعدته وبشرته بقولك يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملايكة مسومين وبقولك وما النصر الا من عند
الله العزيز الحكيم خصوصا لعبدك الحامي لبلادك و
الناصر لاوليائك والحافظ لدينك والقاهر لاعدائك
الغازي السلطان ابن السلطان السلطان مصطفى
خان ابن السلطان ابي المغازي والفتوح محمد خان
اللهم احفظه عما يوجب شينا وضيرا واجعل عاقبته
بلطفك وفضلك خيرا وصير بنيان اعدائه مؤسسا
على شفا جرف هار وعمران اوليائه مرصصا في جنات
تجري من تحتها الانهار الا ان سلطاننا هو السلطان الذي
تضعضع من شعشعة سيفه ولاة اقاصي البلاد
وتزلزل من جعجعة حربه بلاد اهل الكفر والفساد محيي الدين
المبين المتمسك بالحبل المتين رافع درجات العلماء
فوق عرش السماك وباسط بساط الفضلاء على بسيط
معظم الافلاك اعظم السلاطين وافخم الخواقين واوسعهم
علما واوقعهم حلما وارفعهم سلطانا واخطوعهم اعوانا
نظم فلا زال محروس الجناب مؤيدا بتاييد رب العرش
منشرح الصدر فلا زال في الدنيا يرى ما يسره بسعد
واقبال وفتح مع النصر اللهم لا زال الخلق مستظلين تحت

الحامي الدافع من حمية حماية اي دفعه عنه منه

السلطان الوالي من السلاط وهي القهر والغلبة والجمع السلاطين اي سلطان اهل الاسلام بحذف المضاف منه

قوله الغازي الذي يغزو اعداء الله ويحاربهم منه

قوله الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام اداة استفتاح منه

السماك كوكب نير وهو اثنان احدهما من منازل القمر ويسمى سماك الاعزل والاخر ليس من منازل القمر ويسمى السماك الرامح منه

ظله الوارف

٣

اي الواسع

بلغ برجه

اي منتشر سريع

ظلة الوارف ما لمع الشارق وبرق الى طرف وما برح
سحايب لطفه فايضة على الانام سيما على العلماء
الكرام كما هو دأب آبائه العظام واجداده الفخام
اللهم اجعل ظلال رأفته على رؤس العلماء ممدودة
واطناب شوكته باوتاد الخلود مشدودة امين
وها انا اشرع فيما عزمته ناويا ان اسميه بفتح الباب
لحصول النصر والفتح والامان واتضرع الى الله الرحمن
ان يوفق عبده لما رامه من خدمة كتابه الكريم على وفق
رضاه ويكون سعيه خالصا لوجهه الكريم ذلك غاية
ما يتمناه وبالله التوفيق وعليه التكلان اللهم عاف
عيون افهامنا عن رمد الغفلة ولا تجعلنا ممن جعلت
حظه العاجل شغله اللهم وفقني وسددني بترجمة قرانك
العظيم ونبيك الكريم صلى الله عليه وعلى اله وسلم
اجمعين يا رحمن يا رحيم سورة الفتح مدنية بالاتفاق
نزلت بين مكة والمدينة على ما روي انه صلى الله عليه وسلم
قرأها عام صلح الحديبية على راحلته فرجع فيها ان قلت
نزولها في المرجع من الحديبية ينافي كونها مدنية قال العلماء
في جوابه ثلاثة اوجه احدها ان المكي ما نزل قبل الهجرة
والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة ام بمكة عام

والانام اسم جمع بمعنى الاناسي قال الامام الزبيدي الانام الخلق قال ويجوز الانيم وهو جمع لا واحد له منه من لغط

بوءهم الله الملك العلام في دار السلام

والتوفيق جعل الاسباب موافقة في التسبب متاخذة في حصول المطلوب بالاهتداء ومعناه بالفارسية ساز دادن وساختن منه

الفتح او عام حجة الوداع ام بسفر من الاسفار وهذا
القول اشهر الاقوال عندهم والثاني ان المكي ما نزل
بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة واما
ما نزل في الاسفار ليس بمكي ولا مدني الثالث
ان المكي ما وقع خطابا لاهل مكة كقوله تعالى يا ايها الناس
والمدني ما وقع خطابا لاهل المدينة كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
هذا فاطلاق المدنية على هذه السورة بناء على الاصطلاح
المشهور وهو الاول وهي يعني سورة الفتح تسع وعشرون
آية وخمسماية وستون كلمة والفان واربعماية و
ثمانية وثلثون حرفا على ما نقل اهل التفسير عن زيد بن اسلم
عن ابيه وهو منه الذين بايعوا نبينا تحت الشجرة انه قال ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره فساله عمر عن شيء فلم يجبه صلعم ثم ساله
فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه عليه السلام فقال عمر فحركت بعيري
فتقدمت امام الناس وخشيت ان يكون نزل فيّ قران
فما مشيت ان سمعت صارخا يصرخ بي فجئت رسول الله
صلعم فسلمت عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا عمر لقد انزلت عليّ سورة
هي احب اليّ مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر حتى ختم السورة

اخرجه البخاري

اخرجه البخاري وروى انس قال لما نزلت على النبي صلعم هذه
السورة مرجعه من الحديبية واصحابه صلى الله عليه وسلم خالطوا
الحزن والكآبة فقرأه عليه الصلاة والسلام انا فتحنا لك
فتحا مبينا الخ فلما تلاها رسول الله صلعم قال رجل من القوم
هنيئا مريئا لك يا رسول الله قد بيّن الله لك ما يفعل بك
فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الاية في خواص سورة
الفتح قال المسعودي ان من قراه في اول ليلة من شهر رمضان
انا فتحنا لك فتحا مبينا في التطوع حفظ في ذلك العام من كل مكروه
قاله الامام السيوطي في الدر المنثور والامام ابو المعافي
في تفسيره المسمى بنهاية البيان بسم الله الرحمن
الرحيم اختلف العلماء في شان التسمية في اوايل السور
فقيل انها ليست من القران اصلا وهو قول ابن مسعود
ومذهب مالك والمشهور من مذهب ابي حنيفة واتباعه
وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وذهب المتاخرون
من الحنفية الى كون الصحيح من المذهب انها اية واحدة من
القران انزلت للفصل والتبرك بها وعن ابن عباس
قال كنا لا نعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن
الرحيم كذا في المشكوة وقيل انها آية من كل سورة حتى قال

الحديبية الحجازيون يخففونها والعراقيون يثقلونها وهي قرية قريبة من مكة وهي تسعة اميال من مكة واكثرها في الحرم منه

قيل لا يرد دعاء اوله بسم الله الرحمن الرحيم
ومن كتب بسم الله الرحمن الرحيم
فجودها تعظيما لله تعالى غفر له حكي ان
عليا رضي الله عنه نظر الى رجل كتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقال له جودها فان
رجلا جودها غفر له وعن منصور بن
عمار انه وجد رقعة في الطريق مكتوب
فيها بسم الله الرحمن الرحيم فابتلعها
فراى في المنام قايلا يقول له قد فتح الله
عليك باب الحكمة لاحترامك تلك
الرقعة فكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة
على الناس ويعظهم منه

قال بعض العارفين
ان العالم كله قايم ببسم الله
الرحمن الرحيم ومن ذكرها عند
الحرب تسعة عشر مرة نصر
باذن الله تعالى فيقوم البسملة
مقام جميع الاسماء الالهية وهي مفتاح
باب الولاية

ابن عباس رضي الله عنهما من ترك البسملة فقد ترك مائة واربع
عشرة آية من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي
بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر والجار يتعلق بمحذوف
تقديره بسم الله اقرأ • وحذفت الالف من بسم الله
في الخط لكثرة الاستعمال • فطولت الباء لمكان حذف
الالف • ولا تحذف في غير بسم الله ولهذا كتب اقرأ باسم
ربك بالالف • ولا تحذف الالف منه اذا ادخلت
عليه غير الباء من حروف الجر كقولك لاسم الله حلاوة
ولا اسم كاسم الله وقيل اختلف النحويون في الجار
على وجهين فذهب البصريون الى انه في موضع رفع
لانه خبر مبتدأ محذوف • تقديره ابتدائي بسم الله
اي كائن باسم الله • ولا يجوز ان يكون متعلقا ••
بالمصدر لئلا يبقى المبتدأ بلا خبر وذهب الكوفيون
الى انه في موضع نصب بفعل مقدر • تقديره ابتدأت
بسم الله في موجب القرآن لابي سعيد الانباري قوله الله
اصله الاله حذفت الهمزة على غير قياس فعوض منها حرف التعريف
مجردا عن معناه ولذلك قيل يا الله بالقطع كما يقال يا اله وهو
اسم جنس يقع على كل معبود • ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم الا ان
هذا فعلم مخصوص بالمعبود الحق لا يطلق على غيره اصلا فمعنى كلمة

التوحيد

٥

التوحيد لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق
وقيل من آله اذا تحير لانه سبحانه يحار في شانه العقول
والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق
مما سبق وكذا تاله واستاله استفعال استنوق واستحجر
من الناقة والحجر وقيل من آله الى فلان اي سكن اليه
لاطمينان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته
وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا اجاره
اذ العايذ به تعالى يفزع اليه • وهو يجيره حقيقة او في زعمه •
وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع •
اطلق على الفاعل مبالغة والوصفان اسمان بنيا ••
للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم ولا يمنع
تعدي المبني منه كون المبني من الصفات المشبهة لانها لا تشتق
الا من الافعال اللازمة • وذلك لان الفعل المتعدي قد يجعل
لازما بمنزلة الغرائز فينقل الى فعل بضم العين • ثم يشتق منه
الصفة وهذا مطرد في باب المدح والذم حسبما نص عليه
السكاكي في اول اقسام المفتاح • وذكره الزمخشري في الفائق
في رحيم ورفيع وفقير • بل ذاك قريب من المجاز او لا يرى
ان قوله تعالى رفيع الدرجات معناه رفيع درجاته لا رافع
للدرجات والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي

الاله

التفضل والاحسان فكان اطلاق ذينك الاسمين عليه تعالى
من باب التجوز بعلاقة السببية وقيل هما صفتان لله معناهما
ذوا الرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان
والرحمن اشد مبالغة من الرحيم ولهذا قال رحمن الدنيا
ورحيم الاخرة لان رحمته في الدنيا عمت المومن والكافر
والبر والفاجر ورحمته بالاخرة اختصت بالمومنين
وقال بعضهم انهما بمعنى واحد كندمان ونديم قال عز من
قايل وصدق من مخبر انا فتحنا لك الفتح هو الظفر
بالبلد عنوة او صلحا فهذا وعد من الملك الفتاح للرسول
المبعوث بالسيف والرماح بفتح مكة او بفتح ما اتفق
له في سنة صلح الحديبية من فتح قلاع خيبر والفتح الموعود
وان لم يكن واقعا بعد فكان حقه صيغة المستقبل
الا ان التعبير عنه بالماضي لتحقق وقوعه والتعبير عن المستقبل
المحقق الوقوع بصيغة الماضي شايع سيما في الاخبار
الالهية مثل ونادى اصحاب الجنة الاية مع ما فيه من التنبيه
على ان المستقبل والماضي عنده سيان وتوضيحه قال انس
بن مالك رضي الله عنه المراد من الفتح فتح مكة وقال مجاهد فتح
خيبر والاكثرون على انه صلح الحديبية قال الزهري لم يكن فتح
اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين

مكة بيت الله الحرام بلدة فيها الكعبة القبلة التي
يتوجه المسلمون اليها في صلاتهم سميت مكة
لانها تمك اعناق الجبابرة اي تذهب نخوتهم
وتذلهم وقيل مكة اسم المدينة وبكة اسم للبيت
وهي مدينة في واد بين جبلين مشرفين عليها
من نواحيها وهي محيطة بالكعبة والكعبة في وسط
المسجد والابنية والدور محيطة بالمسجد والمسجد
في مقدار الثلاثين من طولها وابنيتها بالحجارة
والاجر وفوقها وهي حارة في الصيف الا ان ليلها
طيب وطولها من المعلاة الى المسفلة
وعرضها عرض الوادي من مراصد الاطلاع

خيبر الموضع المشهور الذي غزاه النبي صلعم على ثمانية
برد من المدينة من جهة الشام تطلق على الولاية
وكان بها سبعة حصون لليهود وحولها مزارع
ونخل وهي ناحية والخيبر بلسان اليهود الحصن
من مراصد الاطلاع

فسمعوا

فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فاسلم في ثلث سنين
خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام ويجوز ان يكون معنى الفتح
الاكرام بالاسلام والنبوة والامر بدعوة الخلق اليهما او
المراد من الفتح فتح ابواب العلوم والخيرات قال البراء بن عازب
نحن نعد الفتح بيعة الرضوان وقيل المراد فتح الروم وقيل
فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان وقيل
الفتح الحكم لقوله فافتح بيننا وبين قومنا بالحق يعني حكمنا
لك باظهار دينك والنصرة على عدوك فتحا مبينا
اي بينا لا يدفع ومكشوفا لا يتقنع او فارقا بين الحق
والباطل فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان
بان مناط التبشير نفس الفتح لا خصوصية المفتوح ولهذا
ذكر المفعول المطلق وهو قوله فتحا مبينا اي مبينا ظاهر الامر مكشوف الحال
او حذف على تقدير كون المراد فتح مكة فكونه مبينا ظاهرا او
اذا كان المراد صلح الحديبية فلانه صار سببا لتفرغه عليه السلام
لفتح ساير المواضع وظهرت فيه ايات عظيمة حيث بويع بيعة
الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدي محله
وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وصار سببا لصدق
ما وعده عليه السلام فصار سببا لاعتقادهم ونزح ماء بير
الحديبية حتى لم يبق فيه قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم

نبينا احد منا في ذلك [illegible]
[illegible] ابواب كشف الغم
[illegible] على [illegible] الازل
[illegible] صلعم
[illegible] وفتح
[illegible]
[illegible]
[illegible] ابواب
[illegible] الصبح
[illegible] وجوده وذلك الفتح
ظاهرا من وجوده حتى لا
يراه احد الا ويرى نور الصمدية
بشره في بشرته لكن كان محجوبا عن
عيون الاغيار بقوله ينظرون اليك
وهم لا يبصرون وذلك الفتح سببا
لغفران ذنبه الاول وذنبه الاخر الذنب
الاول سقوط عن ربد الفعل الى نور
الصفة اذ اتى في الاول بوجود الحدث
الى ساحة القدم ومع ما اتى به لم يات
بحقوق الازلية عليه بكمالها فاذا قصر
في واجب حق الربوبية بكماله عليه صار
ذلك ذنب الاول وذنب الاخر وقوفه
سعة الخطاب على مدارج العبودية بعد
ان غاص في بحر الربوبية فان من شرايط
وحدانيته الخروج من المرسومات فذلك
الفتح سبب غفران الذنبين وليسلفه
الى محض الاتصاف والاتحاد حتى يسير
بسير الربوبية في ركاب حيزوم القدم
في ميادين الازل الى الابد بنعت
التوحيد والتجريد والتفريد وذلك
بتمام نعمة التي اخبرنا الحق عنها بقوله
ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما

فيجد فيها قدرت بالمارحتى شرب جميع من كان معه عليه السلام ••
ليغفر لك الله مع ما عطفت عليه ليس غرضا وعلة
غائية للفتح لان افعاله تعالى غير معللة بالغرض بل غاية للفتح
والعدول عن الى الغيبة • واظهار اسم الله تعالى لتعظيم شان
الرسول وتفخيم امر المغفرة مع ساير ما انتظم معه في سلك
الغاية مع ما فيه من الايماء الى ان كل واحد من الغايات
مترتبة على صفة من صفاته دون اخرى لكونه اسم الذات
المستجمع لجميع الصفات ثم ان الجمهور على انه لا يجوز على الانبياء
المعصية وجوزه بعض الخوارج والقايلون بجواز صدورها
على الانبياء استدلوا بايات منها هذه الاية الكريمة فان المغفرة •
بعد تقدم الذنب دال على تحقق الذنب والجواب انه قبل •
النبوة وجعله على تقدم النبوة وما تأخر عنها لا دلالة للفظ عليه
او يجوز ان يصدر عنه قبل النبوة صغيرتان احديهما متقدمة
على الاخرى او انه ترك الاولى • وتسميته ذنبا استعظام
لصدوره عنه او نقول نسب اليه ذنب قومه فان رئيس القوم
قد ينسب اليه ما فعل بعض اتباعه فالمعنى ليغفر لاجلك ما تقدم
من ذنبك • اى ذنب امتك • وما تأخر من ذنبهم
ويتم نعمته عليك • النعمة ما تستلذه النفس
من الطيبات • وهو اما دنيوى او اخروى والاول اما وهبى

الغرض من حيث انها مطلوبة للفاعل يسمى غرضا ومن حيث ان صدور الفعل لاجله يسمى علة غائية منه

وتفصيله في علم الكلام

قال بعض العارفين ولا يجوز المحبة في ذلك بتعيينه لانه طلب التنقيص ونعلم ان الله تعالى ما شاء على شيء ثم غفر له ولا حاجة بنا الى معرفة ذلك بعينه منه

او كسبى

قيل قوله ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة

7

او كسبى والوهبى اما روحانى كنفخ الروح وما يتبعه او جسمانى
كتخليق البدن وما يتبعه • والكسبى اما تخلية او تحلية واما •
الاخروى فهو مغفرة ما فرط منه وتبوئه في مقام الصدق ••
والمراد من اتمام النعمة اما استيفاء جميع هذه الاقسام •
واما تكميل نعمة الدين اى يكمل دينك ويظهره على الدين كله •
ولو كره الكافرون • ويزداد اهله يوما فيوما قاهرين على اهل •
الملل الباطلة وقيل المراد بتمام النعمة المعراج او برؤية الله •
تعالى غدا • وحقق ذلك بقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت •
عليكم نعمتى وقيل ان التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب •
الحج وهو اخر التكاليف والتكليف نعمة وقيل باخلاء الارض •
لك عن معاندينك فانه من يوم الفتح لم يبق للنبى عدو فان •
بعضهم قتل يوم بدر والباقون امنوا واستامنوا يوم الفتح •
وقيل ويتم نعمته عليك في الدنيا والاخرة • واما في الدنيا باستجابة
دعائك في طلب الفتح وفي الاخرة بقبول شفاعتك وقيل ان •
تمام النعمة يكون في الجنة ويهديك صراطا مستقيما •
هدايته يليق بشانك فان هداية الله تعالى اعنى دلالته بلطف •
على ما يوصل الى البغية مع كونها متنوعة الى انواع لا يكاد يحصى •
منحصرة في اجناس مترتبة ولكل مرتبة منها كافاضة •
القوى الطبيعية والحيوانية التى بها يصدر عنه المرء افاعيله الطبيعية

ولله در القايل
ذات ذكت وذكت مسكا لمنتشق
واستعظم الخلق معد موجد الخلق
وكم همت كفه بالوابل الودق
فاق النبيين في خلق وفي خلق
ولم يدانوه في علم ولا كرم
يا ماح الرسل مدحا غير مختلق
في الخلق والخلق اذ جاء على نسق
نبينا يا اخا المداح من طرق
فاق النبيين في خلق وفي خلق
ولم يدانوه في علم ولا كرم
مكمل كامل خلقا وفي خلق
وكم اذى ناله في الله من خلق
تبارك الله ما احلاه في خلق
فاق النبيين في خلق وفي خلق
ولم يدانوه في علم ولا كرم

ثم يهديه الى الطريقة الشرعية الموصلة الى الحقيقة الالهية ... ويهديك صراطا مستقيما ...

والحيوانية والقوى الدراكة والمشاعر الظاهرة والباطنة
التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها
آفاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة
المودعة في كل جزء من اجزاء العالم واما تشريعية مفصحة عن
تفصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال
الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها
الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية
والانفسية ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار في قلب
المهتدي واطلاعه على ملكوت السموات والارض وهذا القسم
يختص بنيله الانبياء والاولياء وهو المراد ههنا لحصول المراتب
الاول له عليه السلام حين الخطاب فان قلت هذه المرتبة ايضا
كانت حاصلة له عليه السلام الجواب لها عرض عريض لا يزال
النبي عم يترقى فيها بهداية الله تعالى وحسن توفيقه ثم ان الهداية
ان استعمل باللام او الى يكون بمعنى اراءة الطريق وان
استعمل متعديا بنفسه كما في هذا المقام يكون بمعنى الايصال
اي ليوصلك ربك صراطا مستقيما اي طريقا مستويا
متوسطا بين الافراط والتفريط في جميع الصفات المحموده
اعتقادا او خلقا او عملا فان الفوز بالسعادة القصوى انما
هو غاية الاعتدال في جميع الاحوال لان الاطراف كلها مذمومة والاوساط

كما اشار اليه مجملا في قوله وفي الارض
ايات للموقنين وفي انفسكم
افلا تبصرون

النقلة بالضم والتشديد الجماعة

الافراط حد دين تجاوز ايمك
والتفريط نقصان ايمك

محموده

محموده وجميع الملكات الفاضلة يرجع الى توسط بين طرفي
افراط وتفريط كالسخاوة فانه اقتصاد بين تبذير وتقتير بل
الايمان الذي هو اصل العبادات ورأس جميع الفضائل توسط
بين التشبيه والتعطيل وقال بعض المحققين الصراط المستقيم
التي يبسط على متن جهنم يوم القيمة مثال لما في هذا العالم من
الصراط المستقيم المذكور في القران وهو الاقتصاد والتوسط
بين الاضداد فكما ان الصراط المستقيم الاخروي موصوف بالدقة
البالغة كذلك هذا الصراط المستقيم موصوف بها بل لا عرض له
اصلا فبادني انحراف يدخل في احد الطرفين لان الحق واحد لا
يتصور فيه التعدد كالخط المستقيم الواصل بين النقطتين
فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تؤفكون وقيل ويهديك في
تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وقيل ويثبتك
على الصواب والسداد وقيل يهدي بك وقيل يديمك على الصراط
المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم
لانه سهل على المؤمنين الجهاد لعلمهم بفوائده العاجلة والآجلة
وقيل المراد التعريف اي لتعرف انك على صراط مستقيم
وينصرك الله اي يعينك ويؤيدك بنصره على من يشاء
واعادة الاسم الجليل لاظهار كمال العناية بشان النصر
والتنصيص بان النصر من عند الله يعز من يشاء ويذل من يشاء

قوم وقايعهم لم تنحصر عددا
ولا فتوحاتهم تحصى لها مددا
فسل عن البعض منها ان اردت هدا
وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا
فصول حتف لهم ادهى من الوخم
وسل بني قينقاع اذ غدوا بددا
وسل سليما ولم يسلم لو طردا
وسل هوازن عنهم ان نشد احدا
وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا
فصول حتف لهم ادهى من الوخم
وسل هوازن والخلاف والجندا
وخيبرا وتبوكا عنهم ابدا
وسل بني قينقاع ان تسل احدا
وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا
فصول حتف لهم ادهى من الوخم
وسل حصون العدا والحصن منه وقد
والبيض والبيض منذ نار الوغى وقدت
الموردي الحمر بيضا كيف ما وردت
المصدري البيض حمرا بعد ما وردت
من العدا كل مسود من اللمم
قبايل ان تسلها عنهم شهدت
بانها سبقت منهم وما سعدت
ارداست الخيل كل منهم وردت
المصدري البيض حمرا بعد ما وردت
من العدا كل مسود من اللمم

هذي القبايل لما شاهدت شهدت
وقد رأت عصبة بالله قد سعدت
الموردي السمر زرقا من عداه بدت
المصدري البيض حمرا بعد ما وردت
من العدا كل مسود من اللمم

ويؤيده التاكيد بقوله تعالى نصرا عزيزا اى قويا منيعا او نصرا فيه عزة ومنعة فان قلت ما وجه ترتب هذه الغايات الاربعة على الفتح وتسببها عنه مع انه لولا الفتح ايضا لما امتنع المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصر فلا يصلح الفتح علة لها الجواب اولا ان العلية عبارة عن الامر المصحح للاثار التعقيبية وهذا لا ينافى حصول المعلول بدونه وثانيا ان فرط اشتغاله عليه السلام بتبليغ الرسالة وتكميل النفوس الناقصة وحرصه على ايمان القوم كان قد عاقه عن التوجه بشراشره نحو جناب القدس والتبتل اليه بالكلية فلم يمكنه التفرغ لان يتقى الله حق تقاته ولا يصدر عنه ما تركه اولى بالنسبة الى منصبه الجليل ولم يكن ايضا فى بداية الامر اكمال الدين واظهاره على الاديان كلها من غير فتح ام القرى وكذا هداية الصراط المستقيم المقتضية للتوجه التام نحوه والنصر العزيز الغالب المستدعى للغلبة فى جميع الجهاد اصغرها واكبرها فلما جاء نصر الله والفتح ورأى الناس يدخلون فى دين الله افواجا فتوجه بجميع شراشره نحو جناب القدس وسبح بحمد ربه واستغفر ربه وخر راكعا واناب غفر الله له جميع ما تقدم منه وما تأخر مما يصح ان يعاتب عليه واتم نعمته عليه بتكميل صورته ومعناه وهداه الى صراط الله العزيز الحميد ونصره على اعدائه الظاهرة والباطنة

قال ابن عطا جمع الله للنبى صلعم فى هذه الاية بين نعم مختلفة بين فتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من التحقيق بالحق والنصر وهى من اعلام الولاية والمغفرة تنزيه من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة من الغنى والهداية هى الدعوة الى المشاهدة والنصرة هى رؤية الكل من الحق من غير ان يرجع الى سواه وقال الواسطى فتح على رسوله صلعم لمشاهدته فى المسرى وفتح سمعه لفهم كلامه كفاحا بعد ان قواه لذلك واكرمه به وقال ابن عطا كشف الله ذنوب الانبياء ونادى عليهم وستر ذنوب النبى صلعم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال ابو يزيد فى قوله ويهديك صراطا مستقيما هو السبيل الى قربه ليلة المعراج حيث تأخر جبريل و لم يكن ذلك محله فهدى الرسول صلعم الى السبيل الحق وهو الصراط المستقيم وقال ابن عطا فى قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لما بلغ سدرة المنتهى تقدم النبى صلعم وتأخر جبريل فقال النبى لجبريل تركتنى فى هذا الموضع وحدى فعاتبه الله حين سكون الى جبريل فقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال ابن عطا فى قوله ويهديك صراطا مستقيما يهدى بك الخلق الى الصراط المستقيم وهو الطريق الى الحق من جعله امامه قاده الى الحق ومن لم يقتد به فى طلب الطريق الى الحق ضل فى طلبه واخطأ طريق رشده منه

فلولا الفتح

٩

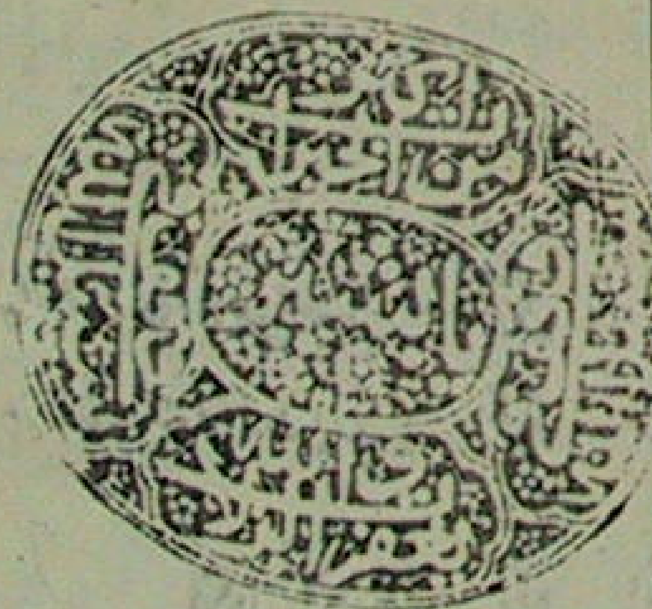
فلولا الفتح لما استعد عليه السلام لان تفاض عليه هذه النعم الجليلة وتاويل الاية فى بعض بطونها ان الفتح يتنوع ثلثة انواع فتح الجلاء فى الباطن وفتح المكاشفة بالحق وفتح العبارة والكلام اى فتحنا لك فى الانواع الثلثة من المفتوح فتحا مبينا ظاهرا يعرفه كل من رآه بما يتجلى به وهواه اما فتح الجلاء فهو ثابت له ذوقا واما فتح المكاشفة فما شاهده ليلة الاسراء من الايات واما فتح العبارة فهو ان القرآن اعطى اياه عليه السلام معجزة فما اعطى احد فتوح العبارة على كمال ما اعطى رسول الله صلعم كما قال تعالى لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اى يستر عنك ما تقدم على الذنوب كالمقدمة من تصميم القلب على ايقاع الذنب والحركة نحوه ومباشرة اسبابه مما يستوجب المؤاخذة والعقاب وما تأخر اى يستر عنك علائق الذنوب ايضا كما يستر عنك مقدمته حتى لا يجدك فيقوم بك لانك لابد وان يكون معصوما لوجوب التأسى بك فلولم تبك ربك فى مقام العصمة للزم الامة التأسى بك فيما يقع من الذنوب لم ينص عليها كما نص على النكاح ما لا يباح ان ذلك خالص لك مشروع وهو حرام على الامة ويتم نعمته عليك بان يعطيها لك مخلقة تامة الخلق بتكميل الصورة

واعلم ان الله تعالى قال ليغفر لك ولم يقل انا فتحنا ليغفر لك تعظيما لامر الفتح وذلك لان المغفرة وان كانت عظيمة لكنها عامة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والمراد من المغفرة فى حق النبى عليه السلام العصمة فلذلك لم يختص به نبينا بل غيره من الرسل كان معصوما واتمام النعمة كذلك قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى وكذلك الهداية قال الله تعالى يهدى الله وكذلك النصر قال الله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون واما الفتح فلم يبق لاحد غير النبى صلعم فعظمه انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه التعظيم من وجهين احدهما قوله انا والثانى قوله لك اى لاجلك على وجه المنة منه

الالهية التي طبع الله آدم على تلك الصورة ويهديك
صراطا مستقيما وهو صراط ربك الذي هو عليه كما قال ان
ربي على صراط مستقيم فمن كان على هذا الصراط فهو على اثر
ربه لا يضل ربي ولا ينسى ثم الشرايع كلها انوار وشرع محمد صلعم
بين هذه انوار كنور الشمس بين انوار الكواكب فاذا طلعت
الشمس خفيت الكواكب واندرجت انوارها تحت النور
الظاهر للشمس وخفاؤها بنور الشمس نظير ما ينسخ من الشرايع
بشرعه عليه السلام مع وجود اعيانها كما يتحقق وجود اعيان
الكواكب مع وجود الشمس ولهذا الزمنا في شرعنا ان نؤمن
بجميع الرسل وجميع شرايعهم انها حق فلم يرجع بالنسخ باطلا ذلك
ظن الذين كفروا فرجعت الطرق كلها ناظرة الى طريق النبي عليه السلام
فلو كانت الرسل في زمانه لتبعوه كما تبعت شرايعهم شرعه ولذا قال
صلعم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وجميع الرسل طالبون
للوصول اليه على القول باكتساب النبوة الا انه عز عليهم الوصول الى
ذلك كما قال وينصرك الله نصرا عزيزا فان العزيز من يرام فلا يستطاع
الوصول اليه وانما عز ذلك لان المكتسب انما هو السلوك والوصول الى الباب
واما ما وراء الباب فلا علم للواصلين اليه بالفتح لهم بعد ذلك فان قيل
ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز من له النصر فالجواب
من وجهين احدهما قال الزمخشري انه يحتمل وجوها ثلثة الاول

نصرا

نصرا واعزة كقوله في عيشة راضية اي ذات رضى الثاني وصف
النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال له كلام صادق كما
يقال له متكلم صادق الثالث المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثاني
ان يقال انما يلزم ما ذكره الزمخشري اذا قلنا العزة هي الغلبة والعزيز
الغالب واما اذا قلنا العزيز النفيس القليل النظير والمحتاج اليه
القليل الوجود يقال عز الشيء في سوق كذا اي قل وجوده مع انه
محتاج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو اخذ بيت الله
من الكفار المقيمين فيه من غير عدد ولا عدد قال اهل المعاني
وهو ان الله تعالى لما قال ليغفر لك الله ابرز الفاعل وهو الله ثم عطف
عليه بقوله ويتم وبقوله ويهديك ولم يذكر الفاعل على الوجه الحسن
في الكلام وهو ان الافعال الكثيرة اذا صدرت من فاعل يظهر
اسمه في الفعل ولا يظهر فيما بعده تقول جاء زيد وقعد وتكلم وقام
وراح ولا تقول جاء زيد وقعد زيد بل جاء زيد وقعد اختصارا
للكلام بالاقتصار على الاول وههنا لم يقل وينصرك نصرا بل اعاد
لفظة الله وجوابه هذا ارشاد الى طريق النصر ولهذا قلما ذكر الله
النصر من غير اضافة فقال تعالى ولينصرن الله من ينصره ولم يقل
بالنصر ينصر وقال هو الذي ايدك بنصره ولم يقل ايدك بالنصر
وقال اذا جاء نصر الله والفتح وقال نصر من الله وفتح قريب
وقال وما النصر الا من عند الله وهذا ادل الآيات على مطلوبنا



وتحقيقه هو ان النصر بالصبر والصبر بالله لما قال الله تعالى
وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون القلب واطمينانه
وذلك بذكر الله كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
فلما قال ههنا وينصرك الله اظهر لفظة الله ليعلم ان بذكر الله
يحصل اطمينان القلب وبه يحصل الصبر وبه يتحقق النصر فان قيل
قال الله تعالى انا فتحنا لك ليغفر لك الله ولم يقل انا فتحنا لنغفر لك
قلنا تعظيما لامر الفتح وذلك ان المغفرة وان كانت عظيمة لكنها
عامة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وان قلنا بان المراد من المغفرة في حق النبي صلعم
العصمة فلذلك لم يختص به نبينا صلعم بل غيره من الرسل
كان معصوما واتمام النعمة كذلك قال تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم وكذلك الهداية قال الله تعالى يهدي الله
وكذلك النصر قال الله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون واما الفتح فلم يبق لاحد غير النبي عليه السلام
فعظمه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه التعظيم من وجهين
احدهما قوله انا والثاني قوله لك اي لاجلك على وجه المنة
هو الذي انزل السكينة فصله عما سبق لعدم دخوله
تحت الغايات المذكورة ولانها مسوقة لبيان ما افيض عليهم

هذا بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمانينة منه

من مقدمات الفتح وطلايعها في جميع المواطن من ثبات
وطمانينة وقوة يعني انزل الوقار والعظمة والثقة بوعد الله
في قلوب المؤمنين بتبديلهم من بعد خوفهم امنا او في هذا
الموطن بسبب ما وقع من الصلح بين الفريقين قال ابن عادل
لما قال تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه النصر وذلك ان الله
تعالى قد ينصر رسله بصيحة يهلك بها اعداءهم او رجفة يحكم فيها
عليهم بالفناء او بشيء يرسله من السماء او بصبر وقوة
وثبات قلب يرزق المؤمنين ليكون لهم بذلك الثواب
الجزيل فقال هو الذي انزل السكينة تحقيقا للنصر والمراد
بالسكينة السكون او الوقار او اليقين قال الكرخي المغيرة
هذه السكينة غير السكينة المذكورة في قوله تعالى ان ياتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان يكون هي تلك
لان المقصود منه على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب
قال الله تعالى في حق الكفار وقذف في قلوبهم الرعب بلفظ
القذف المزعج وقال في حق المؤمنين انزل السكينة بلفظ
الانزال وفيه معنى حكمي وهو ان من علم شيئا من قبل و
تذكره واستدام تذكره فاذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا
عن شيء فيقع دفعة فانه يرجف فؤاده الا ترى ان من اخبر
بوقوع صيحة وقيل له لا تنزعج منها فوقعت الصيحة لا يرجف

والمراد من الثبات والتثبيت
استعدادهم للقتال مع ما لهم من
القوة والشدة والباس فبايعوا
على الموت
منه
ما كرم الله المؤمنين من رشاش بحار معرفته
وانوار قربه بل خصهم بما خص به الانبياء
في اوايل احوالهم وتلك السكينة هو وقوع
انوار المشاهدة على اسرارهم فتقويت به في
تراكم بوادي الواردات الغيبية
وامتحانات الالهية وبذلك النور تزيد
انوار ايمانهم قال الله تعالى في موضع اخر
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
والسكينة شهود كشف الجمال في قلوب
اهل الكمال يورث في اسرارهم الانس
والبصيرة والبصيرة كشف الجلال
في قلوب العارفين فيبصرون به نوادر
الغيوب وعجايب القلوب لذلك
قال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وذلك
الايمان هو البصيرة قال الواسطي البصيرة
مكشوفة والسكينة مستورة الا ترى
الى قوله هو الذي انزل السكينة في قلوب
المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
فبالسكينة ظهرت البصيرة والسكينة
هداية والبصيرة عناية واذا اكرم
العبد بالسكينة يصير المفقود عنده
موجودا والموجود مفقودا وقد سئل

ومن لم يخبر به وغفل عنه يرتجف اذا وقعت فكذلك الكافر •
اتاه الله من حيث لا يحتسب وقذف في قلبه الرعب •
فارتجف والمومن اتى من حيث كان يذكر فسكن فلا ينزعج •
نفوسهم لما يرد عليهم وقال ابن عباس كل سكينة •
في القران فهي طمانينة الا التي في سورة البقرة وقال ايضا •
السكينة في هذه الاية الرحمة وقال الحدادي في تفسيره •
السكينة هي ما اسكن الله قلوبهم من التعظيم لله ولرسوله
والوقار ليلا ينزعج نفوسهم لما يرد عليهم ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم يعني يقينا وطمانينة منضما الى يقينهم وطمانينتهم
فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج يوجب زيادة الاطمينان
وقوة اليقين وفيه اختلاف في ان الايمان هل يزيد وينقص
ام لا قال الامام حجة الاسلام الايمان مشترك بين التصديق •
اليقيني والتقليدي المجزوم به • والتصديق مع العمل وعلى •
الاول لا يقبل الزيادة والنقصان وعلى الاخيرين يقبلها •
وقيل ان نفس الايمان لكونه عبارة عن التصديق القلبي •
لا يقبل الزيادة والنقصان • وانما زيادته زيادة المومن به •
فانه كلما نزل اية صدق المومن بها فزاد ايمانه عددا وقيل •
باعتبار ان الاعمال يجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والتحقيق •
ان نفس التصديق يقبل الشدة والضعف واليقين يتفاوت

والتقليد اعتقاد جازم غير ثابت منه

الى مراتب

الى مراتب بعضها اقوى من بعض كعلم اليقين وعين اليقين
وحق اليقين • فان يقين احاد الامة من المرتبة الاولى واما
يقين الانبياء وارباب المكاشفات من المرتبة الثانية على حسب
مراتبهم في الكشف والمشاهدة وليس الخبر كالعيان وبيانه
ان المعاني التي يتصف بها القلوب قد يجعل الله لها علامات •
من خارج يدل على حصولها في نفوس من شاء من عباده •
ويسمي تلك العلامة باسم ذلك المعنى ليعلم ان تلك العلامة •
نصبت لحصول ذلك المعنى مثل قوله تعالى في تابوت بني اسرائيل
فيه سكينة من ربكم وقيل كان صورة على شكل حيوان من •
الحيوانات وكانت اذا هفت او ظهر منها حركة خاصة •
نصروا فيسكن قلوبهم عند رؤية تلك العلامة من تلك الصورة
التي سماها سكينة • واما السكينة المعلومة محلها القلوب •
فلم يجعل لهذه الامة علامة خارجة عنهم على حصولها وانما علامة
حصولها في قلوبهم هي حصول عينها • ولا يكون ذلك الا عن مطالعة
او مشاهدة تنزل عليهم • وهم مومنون فينتقلون بنزولها عن •
رتبة ما كانوا به مومنين • وهو مرتبة علم اليقين الى مقام معاينة •
ذلك وهو يضاعف ايمانهم بالعيان وهو المراد بالازدياد
وفوق هذا الكلام وهو ان الايمان كشجرة طيبة اصلها ثابت •
في ارض القلب وفرعها في السماء تنمو وتنبت ويزيد في اقطارها •

قال الجوهري السكينة الوداع والوقار
وقال صاحب الكشاف كالبهيمة للبهائم
فقال الكرماني في شرح البخاري واما السكينة
فقيل في معناها وجوه والمختار انها شيء
من مخلوقات الله تعالى فيه طمانينة ورحمة
ومعه الملائكة انتهى
منه

وتسقى بماء ينابيع الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه **وتفصيله** ان للايمان
وجودًا في الاذهان • ووجودًا في العبارة • ولا ريب ان الوجود
العيني لكل شيء هو الاصل • وباقي الوجودات فرع وتابع للوجود
العيني • فالوجود العيني للايمان هو حصول المعارف الالهية •
بنفسها لا بتصورها في القلب • ولا شك ان الصور العلمية •
انوار فايضة من المبدا الفياض **فاذًا** حقيقة الايمان نور •
حاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق وهذا النور
قابل للاستعداد والنقص والقوة • والضعف • وكلما ارتفع حجاب
ازداد النور فيتقوى الايمان ويتكامل اي ينبسط نوره على •
زوايا القلب فينشرح الصدر ويطلع على حقايق الاشياء وينكشف
له الغيوب • ويعرف كل شيء على ما هو عليه فيظهر له صدق الانبياء
عليهم السلام لا سيما افضلهم في جميع ما اخبر عنه اجمالا وتفصيلا •
على حسب نوره بمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية •
العمل بكل مامور • والاجتناب عن كل محظور فينضاف الى نور معرفته •
انوار الاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة يسعى نورهم بين •
ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله بنوره من يشاء **واما** •
الوجود الذهني للايمان فملاحظة المومن وتصوره للتصديق •
القلبي وما يتبعه من المعارف والانوار وملاحظته له وللمواقفه •

والقول في لا سيما لا لنفي الجنس وسي مثل مثل وزنا ومعنى واصله سوى او سيو والواقع بعدها اذا كان معرفا او مجرورا على انه مضاف اليه وما زايدة كما في قوله تعالى ايما الاجلين قضيت وقد يحذف منه كلمة لا تخفيفا ولكن ذكر التفتازاني في شرح تلخيص الجامع الكبير ان استعمال سيما بلا لا لا نظير له في كلام العرب وقد يخفف اليا مع وجود لا وحذفها عنه وقد يقال لا سواء مقام لا سيما والواو التي تدخل عليها في بعض المواضع كما في قوله ولا سيما يوما بدارة جلجل اعتراضية ذكره الرضي **وقيل** حالية **وقيل** عاطفة ثم عدها من كلمات الاستثناء لكون ما بعدها مخرجا عما قبلها من حيث اولويته بالحكم المتقدم والا فليس منها حقيقة صرح به الرضي منه

[illegible] منه

واما الوجود

١٣

واما الوجود اللفظي فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدًا رسول الله •
ولا يخفى ان مجرد الوجود الذهني • وكذا مجرد التلفظ بكلمة الشهادة •
من غير ان يحصل عين الايمان والنور المذكور لا يفيد كما لا يفيد العطشان
تصور الماء الزلال • ولا التلفظ به بل لا يصير بمجردهما مومنًا
فان المومن من اتصف بالايمان وهو من حصل فيه عين الايمان •
بذاته لا من تصوره وحصل فيه صورته كما ان الصحيح من حصل •
فيه الصحة لا من تصورها والا لكان المريض الذي تصور الصحة •
صحيحا **ثم** ان التعبير عما في الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق •
المفصح عن كل خفي المعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة •
وعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم بايمان المرء وكفره فصح •
جعل ذلك من العلامات **قال ابن عادل** وذلك كلما نزلت فريضة •
زاد ايمانهم • قال ابن عباس بعث الله رسوله بشهادة ان لا اله •
الا الله فلما قالوا وصدقوا زادهم الصلوة • ثم الزكوة • ثم الصوم •
ثم الحج • ثم الجهاد • حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشيء فصدقوه •
ازدادوا تصديقا الى تصديقهم **قال** الضحاك يقينا مع يقينهم •
وقيل انزل السكينة عليهم فصبروا وزاد علمهم التعليم (وهو التوحيد) ما علموا
من النصر علم اليقين ايمانا بالغيب • وازدادوا ايمانا مستفادًا
من الغيب مع ايمانهم المستفاد من الشهادة **وقيل** ازدادوا
ايمانا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم امنوا بان محمدًا رسول الله

قال البيضاوي مثل ما قال الضحاك في قوله مع ايمانهم يقينا مع يقينهم **قال المحشي** سعدي جلبي اشارة الى ان كلمة مع ليست على حقيقتها لان الدائر في الحقيقة ليس انضمام يقين الى يقين لامتناع اجتماع المثلين بل حصول نوع يقين اقوى من الاول فان له مراتب لا تحصى من اجل البديهيات الى اخفى النظريات ثم لا يبقى الاول كما فهم وذلك كما في مراتب البياض على ما حقق في مقامه ففيه استعارة منه

وان الله تعالى واحد لا شريك له والحشر كاين فآمنوا بان كل ما
يقول النبي صلى الله عليه وسلم فهو صدق وكل ما يامر الله به واجب
وقيل ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري فان قيل
ما الحكمة في قوله في حق الكفار انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع
كفرهم وقال في حق المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم الجواب
ان كفر الكافر عنادي لينضم الى الكفر الفطري بل الكفر ليس الا
عنادا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الكفر بالاصول
لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة
الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة والانقياد
ولهذا قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال صاحب الاسئلة
فان قيل كيف يقال ان الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وقد قال
الله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قلنا الايمان الذي يقال انه لا يقبل
الزيادة والنقصان هو الاقرار بوجود الله تعالى كما ان الالهية
لا يقبل الزيادة والنقصان انتهى فاما الايمان بمعنى الاجر واليقين
والتصديق فانه يقبلها وهو في الاية بمعنى التصديق لانهم بسبب
السكينة التي هي الطمانينة واليقين كلما نزلت فريضة وشريعة
صدقوا بها فازدادوا تصديقا مع تصديقهم قال ابن عباس
فاوثق ايمان اهل السماء واهل الارض واصدقه واكمله شهادة
ان لا اله الا الله قال ابو المعالي في السكينة ثلثة اقوال احدها

والیقین العلم بزوال الشك ولذلك
لا یوصف به الباری تعالى وفي البیضاوی
ان الیقین اتقان العلم بنفي الشك
والشبهة عنه بالاستدلال وفيه بحث
اذ يشكل بقوله تعالى ونها عين اليقين
وبالجملة المفت بهذه اعلى مراتب اليقين
منه

انها الرحمة والطمانينة والثاني انها الصبر على امر الله والثالثة
انها الثقة بوعد الله حكاها الماوردي ونزلت السكينة على
قلوبهم لئلا تزيغ قلوبهم لما يرد عليهم فسلموا لقضاء الله وكانوا
قد اشتد عليهم صد المشركين لهم عن البيت ثم اوقع الله الرضا
بما جرى في قلوب المسلمين فسلموا واطاعوا ولله جنود
السموات والارض مرتبط بمعنى جملة انزل السكينة
وداخل في حيز ما انعم عليهم ولهذا لم يفصل عما سبق والمعنى
هو الذي انزل عليكم في المواطن كلها سكينة وطمانينة و
امدكم بجند من السماء كما في وقعة بدر وغزوة الاحزاب
فابشروا ولا تضعفوا اضدكم ولا تضجروا قلبكم فان لله تعالى
ما في السموات من الملائكة والعقول المجردة والنفوس الفلكية
بل الارواح المجردة او المراد له ما في العلو وله ايضا ما في الارض
من السفليات من الانس والجن والوحوش والطيور
كل مسخرات بامره يتصرف فيها تصرف الامير في الجند هيهات
انى للملك يتصرف في جنده ايجادا واعداما وابقاء وافناء فلله
المثل الاعلى او المراد ليس لكم من الاحرش وانما حسابكم على الله تعالى
وانتم جند في الارض ولله الجنود كلها في السموات وفي الارض
فهو اعلم بتدبير امرهم كيف ما يشا فيدفع بعضهم ببعض تارة
ويصلح ذات بينهم تارة اخرى حسبما يقتضيه الحكم والمصالح

[illegible]

قال سعيد بن جبير ... الهلاك بعد الضلال
... بنفس واحد فيهلكوا باقل
من لمحة كدعاء نوح على قومه فقال
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فهلك
به اهل الارض جميعا الا من آمن وكل
ذرة من العرش الى الثرى جنوده
حتى لو سلط نملة على جبة عظيمة لتدمر
عينها ولو سلط بعوضة على الاكوان
جميعا لخربها بقوة الله الا ترى كيف قال
صلى الله عليه وسلم لله جنود منها العسل وهذا تحذير
الانفراد بالله والتوكل على الله فانه عون
كل ضعيف وحسب كل عاجز قال سهل
جنوده مختلفة فجنوده في السماء الملائكة
وجنوده في الارض الغزاة وايضا جنوده
في السموات الانبياء وفي الارض الاولياء
منه

قوله هيهات وهو اسم فعل بحور في اخره
الفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا
تنوين يستعمل مكررا ومفردا احسنها
ومنهم من يحذف ياءه ومنهم من يجعلها
نونا وقد يبدل هاءه بالهمزة ومنهم من يقول
ايهاك وايهان وايها وما نقله صاحب
المفصل عن الشيخ من عدم استعماله الا
مكررا منقوض بالنقل عن الموثوق
بعربيتهم
منه

فلا تحزنوا من جريانكم دخول مكة ولا تكرهوه فعسى ان تكرهوا شيئا
فهو خير لكم في علم الله وحكمته وكان الله ازلا وابدا عليما
مبالغا في العلم لكون علمه تعالى شاملا لجميع المعلومات محيطا بها
سابقا على وجودها لكونها من صفات الذات وحظ العبد العارف
من اسم العليم ان يكون مشعوفا بتحصيل العلوم الدينية سيما
المعارف الالهية التي هي ما صحة عن ذاته تعالى وصفاته العلى
فانه اشرف العلوم واقرب الوسايل الى الله تعالى مراقبا لاحواله
محتاطا في مصادره وموارده بانه تعالى مبالغ في العلم فيعلم ضمايره
ويطلع على سرايره حكيما ذي حكمة بالغة وهي عبارة عن كمال
العلم وحسن العمل والاتقان فيه فهي مركب من صفتين
احديهما من صفات الذات والاخرى من صفات الافعال
ولذا قد يستعمل بمعنى العليم المحكم وحظ العارف من هذا الاسم
ان يجتهد في تكميل القوة النظرية بتحصيل المعارف الالهية و
استكمال القوة العملية بتصفية النفس عن الرذايل والميل
الى الدنيا والرغبة في زخارفها والاشتغال بما يوجب الزلفى
من الله تعالى حتى يندرج تحت من في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا قال بعض اهل التفسير في قوله ولله جنود السموات
الخ يدبر امرها كيف يريد فيسلط بعضها على بعض ويوقع فيما بينهم
فيما بينهم السلم كما تقتضيه حكمته اراد سبحانه ان جميع اهل السموات

والحكمة علم الاشياء على ما هي عليه في نفس الامر
والعمل على وفق الصواب منه
والاتقان الاحكام منه

السبحان ... التنزه والتقديس

والارض

والارض ملك له لو اراد نصرة نبيه بغيركم لفعل ولكنه اختاركم
لذلك فاشكروه فانه تعالى انزل السكينة على المؤمنين ليكون
اهلاك اعدائه على ايديهم فيكون لهم الاجر وقيل جنود السموات
الاسباب السماوية وجنود الارض الاسباب الارضية وقوله
عليما فيه اشارة الى انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض قال ابن عباس فلما نزل انا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قالوا يا رسول الله
هنيئا لك ما اعطاك الله فما لنا فانزل الله تعالى ليدخل مع ما
عطف عليه علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض
اي فعل ما فعل من تدبير امر الجنود وتسليط بعضهم على بعض
وامداد المؤمنين على مواطن الحرب بجند من الملايكة مسومين
ليعرفوا هذه النعم الجليلة ويشكروها فيستوجبوا بذلك المزيد
بان يدخل الله تعالى المؤمنين والمؤمنات الجنة ولما
كان ادخال الجنة جزاء لشكر نعمه تعالى وكان ذلك لا يختص
بالمؤمنين فقط بل يعم المؤمنات ذكر المؤمنات ايضا بخلاف
انزال السكينة فان محل السكينة والثبات انما هو قلب
الرجال والنساء بمعزل عنه فلذا خص انزال السكينة بالمؤمنين
ثم ان تقديم الادخال مع تأخره في الوجود عن التكفير لكونه هو
المطلوب والتكفير كالطليعة له والشرف والتقديم للمطالب

بيان لما دل قوله اي دبر من تسليط المؤمنين
كانه يشير الى ان المقصود من قوله تعالى ولله
جنود السموات والارض الى هنا الفتح
بطريق الكناية
جلبي

دون المبادي جنات اي درجات الجنة بتفاوت
مراتبهم وطبقاتهم تجري من تحتها الانهار
ان اريد بالجنة مجموع الاشجار والارض فالمراد من جريان
الانهار من تحتها جريانها من تحت اشجارها او نقول ان
لهذا المجموع تحتا هو الارض وفوقا وهو الاشجار وان
اريد بها الاشجار الملتفة فالامر ظاهر واللائق ان الانهار للجنس
والكثر ما يجئ الجمع المحلى باللام وان كان هو استغراق الاحاد
الا انه قد يجئ للجنس ايضا كما في قوله تعالى انما الصدقات للفقراء
وقوله تعالى لا يحل لك النساء ولذا لو حلف لا يتزوج النساء
يحنث لواحدة وقد حقق ذلك في الاصول خالدين
فيها حال مقدرة من المفعول اي مقدرين الخلود فيها
اذ الخلود لم يتحقق حين الدخول قال الامام الجوزي
في تفسيره المسمى بزاد المسير في متعلق لام ليدخل اربعة
اوجه احدها متعلق بمحذوف تقديره نبتلي بتلك الجنود من
يشاء فيقبل الخير من اهله له والشر ممن قضى له به ليدخل
ويعذب الثاني انها متعلقة بقوله انا فتحنا لانه روي ان
المؤمنين قالوا للنبي عليه السلام هنيئا لك كما ذكرنا في اول
السورة فنزلت الاية فكانه تعالى قال انا فتحنا لك ليغفر لك
وفتحنا للمؤمنين ليدخلهم جنات الثالث انها متعلقة

بينصرك كانه تعالى قال وينصرك الله بالمؤمنين ليدخل المؤمنين
الرابع انها متعلقة بيزدادوا واستشكل هذا بان قوله
ويعذب عطف عليه وازديادهم الايمان ليس سببا عن تعذيب
الله الكفار والجواب فيه ان اعتقادهم ان الله يعذب الكفار
يزيد في ايمانهم لا محالة قال ابو حيان والازدياد لا يكون سببا
لتعذيب الكفار والجواب عنه انه ذكر لكونه مقصودا للمؤمن
كانه قيل بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم الجنة ويعذب
الكفار بايديكم في الدنيا وفيه نظر لانه كان ينبغي ان يقول
لا يكون سببا عن تعذيب الكفار وهذا اشبه ما تقدم في
قوله ليغفر لك الله ذكر هذه الاقوال كلها في تفسير ابن عادل
واجاب الرازي بجوابين احدهما تقديره ويعذب بعض
ما لكم من الازدياد تقول فعلت لاخبر به العدو والصديق
اي لاعرف بوجوده الصديق وبعدمه العدو فكذا ههنا
ليزداد المؤمن ايمانا يدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه
وثانيهما ان بسبب زيادة ايمان المؤمن يكثر صبرهم و
ثباتهم وتبعث الكافر والمنافق معه ويعذب ثم ذكر
وجوها اخر في تعلق الجار منها ان الجار يتعلق بقوله حكيما
كانه تعالى قال ويتم نعمته عليك لان الله حكيم فعل ما فعل
ليدخل المؤمنين ومنها ان يتعلق بقوله ويتم نعمته عليك

فيستجيب دعاءك في الدنيا ويقبل شفاعتك في العقبى ليدخل
المؤمنين جنات ومنها انه يتعلق بامر مفهوم من قرينة الحال
وهو الامر بالقتال لانه لما ذكر الفتح والنصر علم ان الحال حال
القتال فكانه تعالى قال ان الله تعالى امر بالقتال ليدخل
المؤمنين او عرف من قرينة الحال ان الله اختار المؤمنين
فكانه تعالى قال اختار المؤمنين ليدخلهم جنات فان قيل
ما الحكمة في انه تعالى ذكر في بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات
وفي بعضها اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كقوله تعالى
قد افلح المؤمنون وقوله وبشر المؤمنين بان لهم فالجواب انهم
في المواضع التي فيها ما يوهم اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به
مع مشاركة المؤمنات لهم ذكرهن الله صريحا وفي المواضع
التي فيها ما يوهم ذلك اكتفى بدخولهن في المؤمنين كقوله وبشر
المؤمنين مع انه علم من قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا العموم فلا يوهم خروج المؤمنات عن البشارة
واما ههنا فلما كان قوله تعالى ليدخل المؤمنين متعلقا بفعل سبق
وهو اما الامر بالقتال او الصبر فيه او النصرة بالمؤمنين او
الفتح بايديهم على ما تقدم فادخال المؤمنين كان للقتال والمراة
لا تقاتل فلا يدخل الجنة الموعود بها فصرح الله بذكرهن وكذا
في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لان

الموضع

الموضع موضع ذكر النساء واحوالهن لقوله ولا تبرجن
تبرج الجاهلية واقمن وآتين واطعن واذكرن ما يتلى
في بيوتكن فكان ذكر النساء هناك اصلا لكن الرجال لما كان
لهم ما للنساء من الاجر العظيم ذكرهم وذكرهن بلفظ مفرد
من غير تبعية لما بيّنا ويكفر عنهم اي يمحو عنهم بفضله
سيئاتهم معاصيهم التي اقترفوها عمدا او جهلا وفي الضمير
تغليب للمؤمنين على المؤمنات وقيل يغطي ذنوبهم و
لا يظهرها وفيه سؤال وهو ان تكفير السيئات قبل الادخال
فكيف ذكره بعد ذكر الادخال الجواب من وجهين احدهما
ان الواو لا يقتضي الترتيب والثاني ان تكفير السيئات و
المغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال
في الذكر بمعنى انه من اهل الجنة وكان ذلك المذكور من الادخال
والتكفير عند الله اي كائنا عنده او في علمه وقضائه
فهو حال قدم على ذيها وهو قوله فوزا عظيما لا يكتنه
كنهه ولا يقادر قدره اذ هو منتهى المطالب واول المآرب
من جلب المنافع ودفع المضار ولذا اورده بين العلل على
سبيل الاعتراض حتى لا يغفل عن كونه فوزا عظيما عند رب
العرش العظيم قال ابن عادل قوله عند الله متعلق بمحذوف
على انه حال من فوزا لانه صفته في الاصل وجوز ابو البقاء ان

يكون ظرفا لكان وفيه خلاف وان يكون ظرفا لمحذوف دل عليه
الفوز اي يفوزون عند الله ولا يتعلق بفوزا لانه مصدر
فلا يتقدم معموله عليه ومن اغتفر ذلك في الظرف جوزه معناه
ان ذلك الادخال والتكفير في علم الله فوز عظيم يقال عندي
هذا الامر على هذا الوجه اي في اعتقادي ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات
معطوف على يدخل وتسبيه عما ذكر باعتبار انهم يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها فيستحقون العذاب ولما كان المنافقون
في هذا المعنى اشد كانوا بالعذاب احق فلهذا قدم على المشركين
ثم انه كان الظاهر ان يقال ويدخل المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات جهنم خالدين فيها الا انه للتنصيص
على تعذيبهم غير الاسلوب مع كونه اوجز وادل ولان في سلوكه
مسلك الايجاز والقصر على المقصود في بيان حالهم تعجيلا لمساءتهم
وتبعيدا لهم عن ساحة عزه ان يطال الكلام فيهم قال ابن عادل
في قوله ويعذب عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا
على المبدل اي وليعذبهم في الدنيا بايصال الاخراب بهم بعلو
المؤمنين وتسليط النبي عليه السلام قتلا واسرا واسترقاقا
معناه انا فتحنا لك ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار وليعذب المنافقين من الرجال والمنافقات

من النساء

وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى
من الدلالة على انهم احقاء منهم بالعذاب
منه

وهذه العبارة اي ويعذب عطف على يدخل الخ
عبارة البيضاوي منه

وهو قوله ليزدادوا

قوله عطفا على المبدل يعني المبدل منه ويجوز اطلاق
المبدل عليه من حيث ان معنى ابدلت الشيء بغيره
نحيته وجعلت غيره مكانه ويمكن ان يجعل من باب
الحذف والايصال منه

قوله عطف على يدخل وصحة عطفه على تقدير تعلقه بقوله
ليزدادوا فان ازدياد المؤمنين في الايمان يغيظ الكفار
وهو يكون سببا لتعذيب الكافرين بايدي المؤمنين في الدنيا
وقد يجاب بان اعتقادهم ان الله تعالى يعذب الكافرين
يزيد في ايمانهم لا محالة وفيه ان مدخول اللام التعليلية
يجب ان يترتب على متعلقها في الخارج فلا حسم فما ذكره
مادة الاشكال سعدي منه

قوله على المبدل اي فيكون عطفا على المبدل منه
لكونه متبوعا واصلا منه

يعني في لا يجوز عطفه عليه لان المذكور
في المعطوف ما سوى المؤمنين فلا يستقيم
عطفه على بدل الاشتمال سعدي

من النساء وهم اظهروا الايمان باللسان واسروا الكفر
من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة قال ابن
الجوزي في تفسيره المسمى بزاد المسير كررت اللام في ليدخل
على اللام في ليغفر والمعنى ليدخل وليعذب الحكمة انه تعالى
قدم المنافقين على المشركين في كثير من المواضع لامور احدها
انهم كانوا اشر على المؤمنين من الكافرين المجاهر لان المؤمن
كان يتوقى المشرك المجاهر ويخالط المنافق لظنه بايمانه وكان
يفشي اسراره والى هذا اشار النبي صلعم بقوله اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك ولهذا قال الشاعر احذر
عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة فلربما انقلب
الصديق فكان اضر بالمضرة وثانيها ان المنافق كان
يظن ان يتخلص بالمخادعة والكافر لا يقطع بان المؤمن
اذا غلبه يعذبه فلهذا اول ما اخبر الله عن المنافق
الظانين بالله ظن السوء الظانين كل من المشركين
والمنافقين وفيه وفي اضمار العائد له تغليب للذكور على الاناث
بالله المحسن في حق رسوله والمؤمنين ظن الامر السوء حيث
كانوا يظنون ان لن ينصره الله ورسله بالغيب ذلك ظن الذين
كفروا اذ سبقت كلمة الله لعباده المرسلين انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون السوء بفتح السين

وقرئ بالضم وهما لغتان من ساء ظن السوء فاضاف
كما يقال مسجد الجامع ودار الآخرة اى ظنوا ظنا فاسدا
ان الله تعالى لا ينصر رسوله محمدا واصحابه او ان محمدا لا يرجع
الى المدينة حين خرج الى الحديبية انه سيقتل وينهزم و
لا يعود ظافرا او ظنوا ان لله شريكا او ظنوا انهم ورسول
الله بمنزلة واحدة عند الله او ظنوا ان الله تعالى لا يبعث الموتى
قال بهذه الروايات ابن عادل في تفسيره ناقلا عن الرازي
قال ابن الخطيب هذا الظن يحتمل وجوها احدها هو الظن
الذي ذكره الله تعالى بقوله بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول وثانيها
ظن المشركين بالله في الاشراك كقوله تعالى ان هي الا اسماء
سميتموها الى ان قال ان يتبعون الا الظن وما تهوى
الانفس وان الظن لا يغني من الحق شيئا وثالثها ان الله
لا يرى ولا يعلم كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون قال والاول اصح او يقال ان المراد جميع ظنونهم
كما قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا ويؤيد هذا دخول الالف
واللام في السوء وفي السوء وجوه احدها وهو اختيار
المحققين من الادباء ان السوء عبارة عن الفساد
والصدق عبارة عن الصلاح يقال مررت برجل سوء
اى فاسد وسكنت عند رجل صدق اى صالح وهذا

قول الخليل

١٩

قول الخليل والزجاج واختاره الزمخشري وتحقيقه ان
السوء في المعاني كالفساد في الاجساد يقال ساء مزاجه
غير ان احدهما كثير الاستعمال في المعاني والاخر في الاجرام قال الله
تعالى ظهر الفساد في البر والبحر وقال ساء ما كانوا يعملون
عليهم دائرة السوء اما اخبار بانه عليهم يدور دائرة
الامر السوء الذي يظنونه بالله في حق رسوله وبهم يحيق مكرهم
السيء فمثلهم حيث جمع بهم المكاره والمساوي واحيطوا
بها ولصقوا بما قالوا لا تخرج لهم عنها كمثل ما حصل في مركز دائرة
احاط به محيطها احاطة تامة من جميع الجوانب واما
دعاء عليهم بانهم احقاء بان يهلكوا في الغمرات والسكرات
ويدور عليهم دائرة كل مكروه وسوء ثم ان السوء بالضم
والفتح لغتان كالكره مصدر ساء الا ان الغالب في المفتوح
ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فقد
صار كالعلم للشر قال ابن عادل قرأ ابن كثير وابو عمرو بضم
السين وهو مصدر ساء والباقون بالفتح وهو نعت
والدائرة الراجعة بخير او شر ومنها اضيف الى السوء فاريد
بها دائرة الامر السوء اى اكذب الله ظنهم وجعل دائرة
السوء عليهم فدخل النبي صلى الله عليه وسلم العام القابل مكة واجلى
عنها من امتنع عن الاسلام وقهر اهلها على ما اراد منهم من الاسلام

فى عندهم دايرة سوء وعند المؤمنين
دايرة صدق
منه

الذم وهو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد
به الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه
مذموما وكانت الدايرة محمودة وكان حقها ان
لا يضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا واما
دايرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه
وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة
كشاف

او الجلاء وغضب الله عليهم اى انتقم منهم بالهزيمة
وقيل اراد الله عقابهم او احل لهم العقاب زيادة على
التعذيب ولعنهم فى الدنيا بالقتل والطرد عن الرحمة
واعد لهم جهنم فى الاخرة قال القاضى البيضاوى ومن تبعه
من المفسرين قوله غضب الله عطف لما استحقوه فى الاخرة على ما استوجبوه
فى الدنيا انتهى قال بعض الفضلاء وفيه نظر لانه اما ان يراد
عطف غضب مع ما عطف عليه على قوله عليهم دايرة السوء فيرد
عليه ان استحقاقهم لان يدور عليهم دايرة السوء لا يختص بالدنيا
لان كل سوء محيط بهم اينما كانوا الا انه سيحيط بهم فى الاخرة
وكذا استحقاقهم بالغضب واللعن لا يختص بالاخرة لانهم باؤا بغضب
على غضب اينما كانوا ولعنوا فى الدنيا فهم مغضوبون وملعونون
فى الدارين لا ينفكون عنهما ابدا واما ان يراد عطف واعد لهم
على غضب ولعن فرد عليه مع ما سبق من ان استحقاقهم الغضب
واللعن لا يختص بدار دون دار بل يعم الدنيا والاخرة اذ استحقاقهم
لان يعد لهم جهنم ليس فى الاخرة لانهم استحقوا فى الدنيا لان يعد لهم فى
الدنيا عذاب جهنم فى الاخرة لا انهم يستحقون فى الاخرة لان يعد
فيها جهنم لان الجنة اعدت فى الدنيا للمتقين والنار اعدت فيها
للكافرين لا انه سيعد لهم فالاخرة ظرف للمعد لا للاعداد واما
الاعداد فى الدنيا فشتان ما بينهما والجواب ان المراد الشق الاول

بقى قوله واعد لهم جهنم فانه يدل على ادخالهم جهنم وهو مما استوجبوه فى الاخرة منه

وان المراد

وان المراد بدايرة السوء ما كانوا يتربصون به فى الدنيا من ريب
المنون فرد الله عليهم بانهم هم المستحقون لما يتربصونه بالمؤمنين
فى الدنيا ثم عطف قوله وغضب الله الاية ايذانا بان استحقاقهم
لا يقتصر على ما يتربصونه بالمؤمنين بل يستحقون الغضب واللعن
وجهنم ايضا ولكن لما كانوا مرحومين بمقتضى الرحمة الرحمانية التى هى
افاضة الوجود وما يتبعها من الكمالات على القوابل وهى تعم المؤمن
والكافر لا يتفاوت بينهما فى ذلك ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت
واما التفاوت فى الرحمة الرحيمية التى هى افاضة الكمالات المعنوية
من المعارف الالهية والانوار العالية كان فى الحقيقة استحقاقهم
الغضب والطرد من رحمة الله فى الاخرة هذا ثم انه كان حق المعطوفين
الاخيرين ان يعطفها بالفاء السببية لكون كل سابق من هذه
المعطوفات علة للاحقه لكنه دل بالواو على استقلال كل منها
فى الوعيد من غير اعتبار سببية بعضها لبعض وساءت مصيرا
مرجعا فلبئس ما فعلوا حيث صاروا الى جهنم ولله جنود
السموات والارض فلما اراد بقوم رحمة ارسل عليهم جنود
الرحمة كما للمؤمنين الظانين بالله حسن الظن كذلك اذا اراد بقوم
سوء ارسل عليهم جنود العذاب كما للكافرين الظانين بالله ظن
السوء حيث يدير عليهم دايرة السوء باستيصالهم بجنود القهر
والعذاب ونبذة الدقيقة اعيد هذه الاية الكريمة ولهذا الصاحب

وهنا ولعنهم واعد لهم

قال البيضاوى والواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية انتهى

قيل جنوده فى السموات القلوب وفى الارض النفوس وقيل ما سلط الله عليك فهو من جنوده ان سلط عليك نفسك اهلك نفسك بنفسك وان سلط عليك جوارحك اهلك جوارحك بجوارحك وان سلط نفسك على قلبك قادتك فى متابعة الهوى وطاعة الشيطان وان سلط قلبك على نفسك وجوارحك زجرها بالادب فالزمها العبادة وزينها بالاخلاص فى العبودية وهذا تفسير قوله ولله جنود السموات والارض منه

يعني اعادة ما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد هنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة

الاسلوب السابق في وصفه بالعزة في قوله وكان الله عزيزا
حكيما العزيز الغالب من قولهم عز اذا غلب ومرجعه من
القدرة وقيل عديم المثل فيكون من اسماء التنزيه وقيل هو الذي يعسر
ان حاطة بوصفه وتعسر الوصول اليه مع ان الحاجة يشتد اليه
قال الحدادي في قوله ولله جنود السموات والارض وليس على وجه التكرار
لان الاول في اعانة المؤمنين وهذا متصل بذكر المنافقين والانتقام
منهم ومعنى ذلك ان في الاول ولله جنود السموات والارض فالله
قادر على ان يسخرهم لينتقم بهم من اعدائه من كل ما دب ودرج
من ذلك حتى البعوض والعقرب لان الله لم يامر المسلمين بالقتال
ليعوضهم بذلك لجزيل الثواب الذي لا ينال الا بالقتال وههنا
متصل بذكر الانتقام من المنافقين وقيل وفايدة الاعادة
ان لله جنود الرحمة وجنود العذاب او جنود الله انزالهم
قد يكون انزالهم للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم اولا لبيان
الرحمة بالمؤمنين كما قال وكان بالمؤمنين رحيما وثانيا لبيان
انزال العذاب بالمنافقين والمشركين وفي الاول ذكر الجنود
قبل ادخال الجنة وذكرهم ههنا بعد تعذيب الكفار واعداد
جهنم لان الله تعالى ينزل جنود الرحمة ليدخل المؤمنين معظما
مكرما الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامة بقوله ويكفر عنهم سيئاتهم
ثم يقربهم زلفى بقوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واما في حق

الكفار

الكفار فيغضب عليهم اولا فيبعدهم ويطردهم الى البلاد
النائية عن الرحمة وهي جهنم ثم يسلط عليهم ملائكة العذاب
وهم جنود الله كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون
الله فلذلك ذكر جنود الرحمة اولا وقال ههنا وغضب الله عليهم
ولعنهم وهو الابعاد الى جهنم وكان الله عزيزا فيما لا يرد بأسه
حكيما يضع الاهمال موضعه مراعيا لمقتضى الحكمة وخط العارف
باسم العزيز ان يعزز نفسه فلا يستهينها بالمطامع الدنية فلا يذلها
بالسؤال عن الناس والافتقار اليهم ويجعلها بحيث تشتد اليها
احتياج العباد في الارفاق والارشاد انا ارسلناك
جملة مسوقة لتسليته بهم اي ابشر ايها الرسول فانك بمكانة
عندنا او قد ارسلناك الى الناس كافة بل الى الثقلين والمقصد
التعميم حذف المرسل اليهم شاهدا على من بعثت اليهم
تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما
صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما عليهم من الهدى
والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وعليهم وهو
حال مقدرة قال ابن عادل شاهدا على امتك بما يفعلون او
شاهدا بوحدانيتنا يعني بعثناك الى امتك شاهدا بالبلاغ
اليهم كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا انه لا اله الا الله
كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم

ثم اخبر نبيه برسالته الى اهل الضلالة بقوله انا ارسلناك الخ

يعني شاهدا على توحيدهم ومعرفتهم ومحبتهم وولايتهم وسير الله على قلوبهم واسرارهم

لقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا

قائما بالقسط والمراد منه اولوا العلم الانبياء معناه انا ارسلناك
يا محمد شاهدا على امتك بتبليغ الرسالة وقيل شاهدا على
اقوالهم واعمالهم فانها تعرض عليه وفي الدر المنثور للامام
السيوطي عن قتادة قال شاهدا على امته وشاهدا على
الانبياء انهم قد بلغوا ومبشرا بتبشير المؤمنين بالجنة على الطاعة
او مبشرا بالقران المؤمنين الجنة او شاهدا على الرسل
والكتب بالصدق ومبشرا للمصدق بهم وبها ولكما بك بالجنة
ونذيرا تنذر الكفار والعصاة بالنار على كفرهم ومعاصيهم
قال ابن عادل ونذيرا لمن رد شهادته او مخوفا لمن جحد
ذلك بالنار او تنذر الناس من عصيانه ثم بين فايدة الارسال
بقوله لتؤمنوا انتم ايها الرسول وامتك وفيه اشارة
الى انه عليه السلام كما بعث لتكميل النفوس الناقصة بعث
لتكميل نفسه المباركة ايضا ومن الانبياء من بعثه الله
لنفسه فقط كما روى عن زيد بن عمرو بن نوفل قال بعض اهل
التفسير الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته كما ذكرا اولا يعني
لتؤمنوا بوعده وبالحساب وبالبعث بعد الموت بالله
بوجوده ووحدانيته وساير صفاته العلى مما يجب عليه
ويمتنع عنه تعالى وتعزروه اي يعينوه وينصروه بالسيف
واللسان وتوقروه بتقوية دينه واعلاء كلمته واحياء

قال البيضاوي مبشرا ونذيرا على الطاعة
والمعصية قيل ومبشرا بعفو بتبشيرهم
بالوصال ورؤية الجمال والجلال
ونذيرا من العقاب والحجاب
وقيل يبشرهم بالوصال الى قرب
حبيبهم بطاعة ونذيرا للمقبلين اليه
لئلا يميلوا الى غيره وقيل مبشرا لهم بالموفقة
ونذيرا محذرا اياهم البدع والضلالة
او شاهدا عليها ومبشرا لها ونذيرا
عما يقتضي ... في الكل ...
على الكل ...
اي وجب على النبي الايمان برسالة نفسه

قال العارفون اي جعلناك شاهدا لهم لتؤمنوا بالله
ورسوله اي ليشاهدوا باسرارهم مشاهدة
الله ويدركوك في محل الجلال
والجمال ويعرفون قدرك ورسوله
في قدري وقدري في قدرك حيث صرت مرآتي
التجلي ملكا لهم لذلك قال عليه السلام من راني
فقد راني ومن راني فقد راى الحق ويعزروا
امري فيك بيبذل وجودهم ويوقروك بحا
البستك وقاري وهيبتي ويوقرون كلامي
وخطابي الذي انزلت اليك بنعت المتابعة
وتقديسوني عن الانداد والاضداد وعزاني يجب
اعدم سبيلا الى كنه معرفتي وجلال قدري

سنته وقرئ وتعززوه بالزايين وتوقروه تعظموه
حق تعظيمه ولا تكونوا كالذين ما قدروا الله حق قدره وقرئ
توقروه من اوقره قراء ابن كثير وابو عمرو بياء المخاطبة
الفوقانية على معنى قولهم لتؤمنوا بالله ورسوله وتعظموه وتنصروه
وهذه الخطابات للمرسل اليهم وقراء الباقون بياء الغايبة
اي بعثنا اليهم ليفعلوا ذلك كله والتعزير هو النصرة بعد اخرى
وهو نصر دين الله ورسول الله والتوقير التعظيم قال ابو
الفتح في تفسيره وفيما يرجع اليه هذه الكنايات قولان احدهما
انها ترجع الى الله تعالى اي يعززوا الله والتعزير النصر ونصرة
الله نصرة رسوله والتوقير التعظيم لان قوله وتسبحوه
راجع الى الله تعالى فكذلك ما تقدم والثاني انها ترجع الى
رسول الله اي يعززوه ويوقروه فجاز ان يكون بعض الكلام
راجعا الى الله وبعضه راجعا الى رسوله فاما التسبيح
فيرجع الى الله تعالى قاله الضحاك والاول احسن قاله القشيري
واختار كثير من القراء الوقف هاهنا لاختلاف الكناية
فيه وفيما بعده وتسبحوه اي تنزهوه من النقايص
بجميع ما يليق بكبريائه قال ابو الفتح وفي التسبيح قولان احدهما
التنزيه له من كل قبيح كما في تفسيره والثاني الصلاة بكرة
واصيلا وقيل وتسبحوه من التسبيح او من السبحة وهي صلوة التطوع

فاديه علي بن ابي طالب وابن
السميقع قاله ابو الفتح
في تفسيره

قال بعض المفسرين والتسبيح التنزيه ويجوز ان يكون التعزير
والتوقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتسبيح فلا يجوز الا لله
وقراءة عبد الله بن مسعود وتسبحوا الله بكرة واصيلا
وتعزير الرسول المنع منه والحماية له والقتال دونه وتوقيره
تعظيمه في مخاطباته وتعظيم اوامره قال زيد بن اسلم تشرفوه
قال مقاتل تعظموه قال ابو حاتم يجوز ان يكون التعزير
والتوقير لله مع التسبيح وهو اوفق للنظم الكريم عن عكرمة
قال كان ابن عباس يقرأ هذه الاية الذين يؤمنون بالله ورسوله
ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بكرة واصيلا قال فكان
يقول يا امتنا فاجعلوها على يا فان القران كله على يا كذا في
الدر المنثور للامام السيوطي **بكرة واصيلا** اي غدوة
وعشيا والمقصود استيعاب جميع اليوم بليلته او المراد
من التسبيح الصلوة كما ذكرنا اولا ومن البكرة والاصيل صلوة الفجر
والظهر والعصر او المراد وسبحوه نهارا وليلا قال ابن عادل
والفخر الرازي في الكبير ما الحكمة في قوله في الاحزاب انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وههنا
اقتصر على الثلثة الاول من الخمسة فالجواب يقع من وجهين احدها
ان ذلك المقام كان مقام ذكر لان اكثر السورة ذكر الرسول واحواله
وما تقدمه من المبايعة والوعد بالدخول ففصل هناك ولم يفصل ههنا

وثانيها

٢٣

وثانيها ان قوله شاهدا لم يقتض ان يكون داعيا لجواز ان يقول
مع نفسه اشهد ان لا اله الا الله ولا يدعو الناس قال هناك
وداعيا كذلك ههنا لما لم يكن كونه شاهدا ينبئ عن كونه داعيا
قال لتؤمنوا بالله وتعزروه وتوقروه وقوله بكرة واصيلا
يحتمل ان يكون اشارة الى المداومة كما ذكرنا اولا ويحتمل ان
يكون ما عاده المشركين فانهم كانوا يعبدون الاصنام في الكعبة
بكرة فامر الله بالتسبيح في اوقات ذكرهم الفحشاء والمنكر
ان الذين يبايعونك اي مطلقا على التوحيد وسائر
ما بلغت اليهم على ما تفيده صيغة المضارع الدال على الاستمرار
وتحت الشجرة على قتال قريش على ما روي انه عليه السلام
لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة
فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن فاخبرهم انه
عليه السلام لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما
لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال
ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسوه
عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نتنقم
من الذين ارجفوا وكان حقا علينا نصر المؤمنين فاجتمع الاصحاب
وكانوا الفا وثلثمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا
ولا ينهزموا عنهم وكان صلى الله عليه وسلم جالسا تحت شجرة السدرة

صرح الله لك في هذه الاية وبلغ امر عين
الجمع ومقام الالتباس وظهور العين
وظهور جمع العين في عين الجمع حيث جعل
نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته وهو
مقام الانصاف والاتحاد بداء نور
الذات في نور الصفات وبداء نور الذات
والصفات في نور الافعال فصار هو هو
اذا غاب الفعل في الصفة وغاب الصفة
في الذات ومن ههنا ادعى الحلاج حيث
قال انا الحق وقال بعض العارفين سبحاني
سبحاني ما اعظم شاني وقال ابو سعيد
ليس في جبتي سوى الله وانشد الشبلي
تباركت خطراتي في فعالك فلا الى اذا افكرت الا لي
قال الواسطي اخبر الله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعني ان البشرية في نبيه صلى الله عليه وسلم
عارية واوصافه دون الحقيقة وقد اظهر النعوت
في محمد صلعم فقال ان الذين يبايعونك الخ قال
بعض العارفين لم يظهر الحق لكن مقام الجمع على احد
بالتصريح الا لرسول الله صلعم وقيل اسقط
الوسائط عند تحقيق الحقائق فابقى رسومها

فبشرهم الله بانه انما يبايعون الله لان مبايعة النبي صلعم
كانت مبايعة عامة وهي لا يكون الا لواحد الزمان خاصة
وان واحد الزمان هو المظهر الاتم الذي نظهر بالصورة الالهية
في جميع الاكوان كما قال عليه الصلاة والسلام خلق الله آدم
على صورته اي تجلى وظهر في نشأة الانسان الكامل بجميع شئوناته
الدوامه والحروف العاليات فصارت نسخة جامعة لا في العالم
وكتابا حاويا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ثم هذه الاية
الكريمة على اسلوب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يعني
ما يبايعونك حقيقة الذين يبايعونك صورة بك بل انما يبايعون الله
الذي ظهر وتجلى باحد جميع الاسماء الالهية والحقائق الامكانية في النشأة
المحمدية الجامعة فاليد الذي فوق ايديهم ليس بيدك بل هو
يد الله فوق ايديهم وفيه اشارة الى ان من ادب المبايعة
اذا اخذ المبايعون يد التابع للبيعة ليقبلوها ان يجعلوا ايديهم
تحتها وجعلوها فوق ايديهم وهذه الجملة حال او استيناف
مؤكد مضمون الجملة السابقة على سبيل التخييل لانه مما تنزه
عن اليد الحقيقية عن ابن ابي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع
على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت
يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله لان المقصود توثيق العهد بامتثال
اوامره ونواهيه قال جابر بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت

شجرة

قال صاحب المفتاح احسن الاستعارة التخييلية
بحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت
تابعة لها ثم اذا انضم اليها المشاكلة كما في قوله تعالى
يد الله فوق ايديهم كان احسن واحسن وقال السيد
الشريف في شرحه يعني اذا انضم الى التخييلية التابعة
للمكنية المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه
في صحبته ازداد حسن التخييلية والمراد بانضمام
المشاكلة اليها ان يجتمعا في لفظ واحد كما في قوله
يد الله فوق ايديهم بعد قوله انما يبايعون الله فلفظ
الله في يد الله استعارة بالكناية عن مبايع من
الذين يبايعونه بالايدي ولفظ اليد استعارة
تخييلية اريد به الصورة المخترعة الشبيهة باليد
مع ان ذكر اليد في حقه تعالى لاجتماعه مع ذكر الايدي

[illegible] التخييلية

الاستعارة بالكناية قد اختلف فيها على اقوال الاول ما ذهب اليه الجمهور وهو ان
الاستعارة مثل قولك اظفار المنية نشبت بفلان هو اسم المشبه به المسكوت عنه اعني
لفظ السبع مثلا وما اثبت للمشبه المذكور الذي هو المنية من لوازم المشبه به اعني
الاظفار كناية عن لفظ السبع وكونه مستعارا للمنية

فقد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من
اركانه سوى المشبه ويدل عليه بان يثبت
للمشبه امر مختص بالمشبه به فيسمى التشبيه المضمر
في النفس استعارة بالكناية او مكنيا عنها
واثبات ذلك الامر المختص بالمشبه به استعارة
تخييلية
تلخيص

شجرة السمرة وهي بيعة الرضوان على الموت وعلى ان لا نفر فما
نكث احد منا هذه البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا
اختفى تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وسميت البيعة
لانهم باعوا انفسهم من الله الجنة وكان العقد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانهم بايعوا الله تعالى لان الله تعالى ضمن لهم الجنة
ورضي لهم بذلك البيعة فسميت بيعة الرضوان وكلهم بايعوه
على النصرة والنصح والسمع والطاعة وان لا يفروا من العدو
قال اهل التحقيق معنى الاية ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية
على ان لا يفروا انما يبايعون في ذات الله ليست انت المراد
بذلك بل المراد به القيام بعبادة الله تعالى وقرئ يبايعون لله والمفعول
محذوف اي انما يبايعونك لاجل الله قوله يد الله فوق ايديهم جملة
حالية او خبر ثان او استيناف مؤكد وهو ترشيح للمجاز في
مبايعة الله تعالى كما يعني انه مرسل بقوله انا ارسلناك ذكر ان
من بايعه فقد بايع الحق قال ابو المعاني وفي اليد ستة اقوال
احدها يد الله عليهم بالوفاء فوق ايديهم بالوفاء بالعهد حين
بايعوك اي ان الله اوفى منهم كما قال ومن اوفى بعهده من الله
قاله ابن عباس والثاني يد الله في الثواب فوق ايديهم قاله
الزجاج والثالث نعمة الله عليهم في الهداية فوق ايديهم
في الطاعة اي احسان الله اليهم باهدائهم للايمان ابلغ واتم

من احسانهم اليك بالنصرة والبيعة قاله الكلبي الرابع
قوة الله ونصرته فوق نصرتهم ذكره ابن جرير وابن كيسان
يعني ليكن ثقتك بنصرة الله لك اكثر من ثقتك بنصرتهم الخامس
ملك الله فوق ملكهم لا نفسهم والسادس يد الله عليهم
في فعل الخيرات بهم فوق ايديهم في بيعتهم ذكره الماوردي
وعن السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلعم ويبايعونه
ويد الله فوق ايديهم في المبايعة وذلك ان المتبايعين اذا
مد احدهما يده الى الاخر في البيع وبينهما ثالث فيضع يده على
يديهما ويحفظ ايديهما الى ان يتم العقد ولا يترك احدهما يترك
يد الاخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق
الايدي سببا لحفظ البيعة فقال تع يد الله فوق ايديهم يحفظهم
على البيعة كما يحفظ المتوسط ايدي المتبايعين وقيل اليد ههنا
هي يد القدرة لان الله تعالى منزه عن الجوارح وفي الفقه الاكبر
وله تعالى يد ووجه ونفس بقوله بل يداه مبسوطتان وبقوله
ويبقى وجه ربك وبقوله كل شيء هالك الا وجهه وبقوله حكاية عن
عيسى عم تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وبقوله كتب على
نفسه الرحمة وصفات الله كلها ليست غير ذاته فقوله صفات
بلا كيف يعني اصلها معلوم ووصفها مجهول وان الله تعالى منزه
عن الجارحة قال الامام احمد ان الكيفية مجهولة والبحث عنها

بدعة ولا يقال ان يده نعمته ورحمته وقدرته لان في هذه
الاقوال ابطال الصفة التي دل على ثبوتها القران وابطال
الصفة قول اهل الاعتزال والقدر ولكن يده صفته بلا كيف
وكذا نفسه صفته بلا كيف ومثل هذه الايات من الايات المتشابهة
التي استاثر الله بعلمها فنحن نؤمن بظاهرها وتنزيهها ونكل
تاويلها الى الله سبحانه وتعالى والله اعلم بمراده ثم زجرهم
عن نقض العهد وحثهم على الوفاء بقوله فمن نكث نقض بيعته
معك فانما ينكث على نفسه يعود ضرر نكثه ووخامة
عاقبة نقض عهده دايرا على نفسه وما عليك الا البلاغ فلا يضرك
من ضل اذا اهتديتم يعني عليه وبال النكث وضرره راجع
اليه وليس له الجنة والكرامة ومن اوفى بما عاهد عليه
بضم الهاء فانه لما حذف واو هو بقي الهاء مضموما ليكون ذريعة
الى تفخيم لام الجلالة في اسم الله مفعول فسيؤتيه اي الله
مكافاة لايفاء عهده اجرا عظيما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر واعلم ان رسول الله صلعم
لما استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه
الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يحاربوه عليه السلام
او يصدوه عن البيت حتى انه عليه السلام احرم وساق معه
الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب تخلف عنه من الاعراب غفار ومزينة

وقرا حفص بضم الهاء تفخيما للجلالة واصله هو حذفت الواو لسكونها وسكون ما قبلها وبقيت الضمة تدل عليها فابقي بعد حذف الواو توسلا الى تفخيم لام الجلالة منه

وجهينة واشجع واسلم وتثاقلوا عن الخروج لغلبة شقوتهم و
خذلانهم وضعف عقيدتهم وخوفهم من مقاتلة قريش
لكنهم اعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم فاوحى الله اليه عم قبل تعللهم
اخبارا بالغيب بانه **سيقول لك المخلفون من**
الاعراب اعتذارا لتخلفهم عنك حين استنفرتهم يعني اخبر
الله النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا رجع من الحديبية الى المدينة
اتاه الاعراب الذين تخلفوا منه بغير عذر ولم يخرجوا معه
عليه السلام وهم اعراب غفار ومزينة وغيرهم كما ذكر وكانت
منازلهم بين مكة والمدينة تخلفوا عن رسول الله اه **شغلتنا**
اموالنا واهلونا اي قيامنا بمصالح الاهل والاموال
واحاطتها من الضياع جعلنا مشغولين فلم يمكننا التوجه للخروج
معك والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات واما
الاهال فاسم جمع كالليال **فاستغفر لنا** ربك ليغفر لنا خطايانا
حيث لم يكن تخلفنا عنك باختيار بل اضطررنا عليه
ثم كذبهم الله في ذلك بقوله **يقولون بالسنتهم ما ليس في**
قلوبهم مستانفة مسوقة لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار
قال الحدادي اي يسألون المغفرة بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وانهم
لا يبالون استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم **قل** في رد اعتذارهم الفاسد
وتعللهم الكاسد **فمن يملك لكم** اي فمن يقدر لاجلكم **من الله شيئا**

من قضاء الله وقدره على شيء من النفع اي فمن يمنعكم
من عذاب الله **ان اراد بكم ضرا** اي شيئا يضركم من اهلاكم
ما تخلفتم عن الخروج لاجل حفظه ودفع ضره قال المولى ابو السعود
يعني ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج
لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرا حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد
والباقون بالفتح قال ابو علي الضر بالفتح خلاف النفع وبالضم سوء
الحال ويجوز ان يكونا لغتين كالفقر والفقر والضعف والضعف
وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن رسول الله يدفع عنهم الضر وتعجل لهم
النفع بسلامة انفسهم واموالهم فاخبرهم انه ان اراد
بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه **او اراد بكم نفعا**
يعني ومن يقدر على شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم
واهليكم والاستفهام انكاري اي لا مالك للنفع ان اراد الله ضرا
ولا مالك للضر ان اراد الله بكم نفعا فيحلفكم لاجل حفظهما مما لا حاجة
اليه فهذا الكلام بيان لفساد مقالتهم الكاذبة على سبيل التنزل
وبعد صدقها كما ان قوله **بل كان الله بما تعملون**
من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مقدماته **خبيرا**
بيان لكذب مقالتهم بالاضراب عنها والخبير العليم ببواطن الاشياء
من الخبرة وهي العلم بالخفايا الباطنة وقيل هو المتمكن من الاخبار
بما علمه وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضرر

ظاهره انه يملك مجاز عن يمنع او يضمن معناه ومن الله متعلق به على حذف المضاف لكن ذكر في سورة الاحقاف في قوله تعالى فلا يملكون لي من الله شيئا فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه ثم قال ومثله فمن يملك من الله شيئا فحقيقته فمن يستطيع امساك شيء من قدرة الله تعالى ان اراد ان يهلكه انه لك واذا لم يستطع امساكه ودفعه عنهم فلا يكون منعه منهم فلذا فسرنا المنع اخذا بالحاصل وحقيقة الملك القبض والحفظ عن حرم يقال ملكت بالشيء اذا اخذت وضبطت دخولا تحته للتفتازاني في حاشية الكشاف

التفسير بالمنع للنظر الى حاصل المعنى وان اللام اما للبيان او للصلة لان هذه الاستطاعة مختصة بهم ولاجلهم والمعنى قل لهم اذ لا احد لدفع ضره ولا نفعه فليس الشغل بالاهل والمال عذرا اذ لا ذاك يدفع الضر ان اراده ولا مخافضة العدو يمنع النفع ان اراد بكم نفعا وهذا الكلام جامع في الجواب كشف

قوله مخافضة اي غافضة اخذة

والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر
والغنيمة قوله بل كان الله ام انه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه
بعد بيان افادة على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون
بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم
وما هو من مباديه يعني عالما بتخلفكم ومرادكم وحظ العارف
من اسم الخبير ان لا يتغافل عن بواطن احواله ويشتغل باصلاحها
وتلافي ما يحدث فيها من المفاسد بل ظننتم بدل من كان الله خبيرا
من الابهام اي بل زعمتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
اي لن يرجعوا من هذه الغزوة الى اهليهم ابدا زعما منكم بان
المشركين يستاصلونهم فخشيتم ان يصيبكم ما اصابهم ان كنتم معهم
فلذلك تخلفتم لا لما ادعيتم من المعاذير الفاسدة قال الحدادي
اظهر الله نفاقهم وبين ان تخلفهم عنه لم يكن بسبب اموالكم واهليهم
ولكن كانوا يقولون فيما يستاصلهم محمدا واصحابه عدو جمع في هذه
الكرة فلا يرجعون الى المدينة ابدا فيتبرح منهم وزين ذلك
المذكور من التخلف والظن المذكور في قلوبكم فحسبتم انكم
تحسنون صنعا فحذف الفاعل واسناد الفعل الى المفعول اما لانه
معلوم ان فاعله هو الله او لكون المقصود بيان تعلق الفعل بالمفعول
قال المولى ابو السعود في قوله زين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واستغلتم
بشان انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل

باسناده الى الله ... محذوف جمهور يعني للمفعول والفاعل ... منه

والهلاك جمع هالك وقد يجمع على هلكات ... قاضي

٢٧

باسناده الى الله لك او الى الشيطان يعني زين الشيطان
لكم ذلك الظن في قلوبكم وظننتم في ان ينقلب الرسول والمؤمنون
ظن الامر السوء فالتكرير للتسجيل عليهم بالسوء او
لتشديد التوبيخ او المراد ظننتم في جميع ما تظنونه بالله ورسوله
من الظنون الفاسدة والامور الزائغة وكنتم ازلا في علم الله
في عالم الاعيان الثابتة قوما بورا فاسدين مستوجبين
بسخطه مما يصدر عنكم من الخبائث ليس الا من مقتضيات عينكم
الثابتة ومن لم يؤمن اذا الخبيثات للخبيثين وبور جمع
باير كعوذ وعايذ او بائر كالهالك من هلك بناء ومعنى ومن ثم
يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث وقال السدي
وكنتم قوما بورا اي غير متقيح ولا محسنيح وقال عكرمة البور
في لغة العمان الفاسد وفي كلام العرب اصبحت اعمالهم
بورا اي مبطلة واصبحت منازلهم بورا وقيل كنتم على بابها
في الاخبار بكونهم في الماضي كذا والبور الهلاك وهو يحتمل
ان يكون نعتا مصدرا اخبر به عن الجمع كقوله يا رسول المليك ان
لساني راتق ما فتقت اذ انا بور ويجوز ان يكون جمع باير
كحائل وحول في المعتل وبازل وبزل في الصحيح قال ابن
عباس البور في لغة ازد عمان الشيء الفاسد ومن لم
يؤمن جملة مسوقة لتقرير بوارهم ومبينة لكيفيته غير

وكذا جاء في القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم كشاف

قوله بورا اي هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم قاضي

ويحتمل ان يكون كنتم بمعنى صرتم

داخل فى الكلام الملقن اى ومن يصدق بالله ورسوله
بل ظن بالله الظنون • واختلط بالشؤن كما فعل هولاء المخلفون •
قال ابن عادل قوله ومن لم يؤمن يجوز ان يكون شرطية او
موصولة والظاهر قايم مقام العايد على كلا التقدير ين اى
فانا اعتدنا لهم وفيه فايدة وهى التعميم كانه قال ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فى السر والعلانية كداب هولاء المخلفين
فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا
فى وضع الظاهر موضع الضمير اى لهم للتنصيص على ان من لم
يجمع من الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه استحق العذاب
السعير لكونه على ما بعده ترتب الحكم على الوصف المشعر بالعلية
السعير اسم لدركة من دركات النار اعدت للشياطين •
ومن تبعهم او المراد مطلق النار وتنكيره للتهويل والتعظيم
ولهذا عدل فى انا اعتدنا من ضمير الغايب الى نون العظمة
ولله ملك السموات والارض لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه
يتصرف فيهما وما فيهما كيف يشاء يغفر ما دون الشرك
لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه من الكفار
والعصاة من غير ان يجب شئ منهما عليه تعالى او منه ثم ان عفوه
عمن يشاء وتعذيبه لمن يشاء انما هو العرض بمقتضى القدر الملكى
والسلطنة والسياسة الالهية وليس له تعالى ذلك من ذاته كيف

ومن شرطية او موصولة والعايد الخبر او من الجواب ان كانت شرطية الظاهر وهو للكافرين اقيم مقام مقام المضمر بتقديره لهم منه

او لانها نار مخصوصة فالتنكير للتنويع منه

قوله للتهويل للدلالة على انها سعير لا يكتنه كنهها سعدى

فيه رد المعتزلة حيث يقولون بالوجوب على الله تعالى فى ثواب المطيع وعقاب العاصى وتفصيله فى علم الكلام منه

وكان الله

وكان الله فى ذاته ازلا وابدا عفورا رحيما
واما بالذات اسبق واولى واما بالعرض كما قال فى الحديث
سبقت رحمتى غضبى هذا والغفور كثير المغفرة وهى صيانة العبد
عما استحقه من العقاب بالتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو الباس
الشئ ما يصونه عن الدنس والغفار ابلغ منه لزيادة بنائه وقيل
الفرق بينهما ان المبالغة فيه من جهة الكيفية وفى الغفار باعتبار الكمية
قال ابن عادل ذكر هذا بعد ذكره من الاجر العظيم من المبايعين ومن لم
السعير عذاب اليم من الظانين الظالين وذلك يفيد عظمة الامرين جميعا
لان من عظم ملكه يكون اجره وهيبته فى غاية العظمة وعذابه وعقوبته فى
غاية الالم وحظ العارف المتامل من اسم الغفور والرحيم ان يستر
من اخيه ما يحب ان يستر منه ولا يفشى منه الا احسن ما فيها ويتجاوز عما ينبغى
ويكافى المسئ اليه بالصفح والانعام عليه والرحيم فعيل من رحم كالعليم من علم
ومعناه المبالغ فى الرحمة وهى فى اللغة رقة فى القلب وانعطاف يقتضى
التفضل والاحسان على من رق له • واسماء الله تعالى وصفاته انما يوخذ
باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادى التى هى انفعالات فرحمة
الله تعالى على العباد اما ارادة الانعام عليهم ودفع الضر عنهم فيكون من صفات
الذات • ونفس الانعام والدفع فيعود الى صفات الافعال وحظ
العارف الكامل من اسم الرحمن الرحيم ان يتوجه بشراشره الى جنابه قدسه
ويتوكل اليه ويلتجى فيما يعن اليه ويشغل سره بذكره فالاستعدادية

من غيره لما فهم منها انه المنعم الحقيقي المولى للنعم كلها عاجلها واجلها و
يرحم عباد الله فيعاون المظلوم ويصرف الظالم ويدفع عنه ظلمه
بالطريق الاحسن والوجه الاجمل وينبه الغافل وينظر الى العاجز
بعين الرحمة دون الازدراء ويجتهد في ازالة المعاصي وازاحتها
على احسن ما يستطيعه من الطرق ويسعى في سد خلة المحتاجين
بقدر وسعه وطاقته سيقول المخلفون روي انه عليه
الصلاة والسلام لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست واقام
بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع غزا خيبر بمن شهد الحديبية
ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها الله بهم حسبما وعدهم وحين ما
استعدوا للانطلاق الى هذه الغزوة فاخبر الله تعالى به رسول الله
قبل وقوعه حيث اوحى اليه ان المخلفين المذكورين سيقولون لكم فيما يستقبل
اذا انطلقتم اذا هذه ظرفية لا شرطية وعاملها ما قبلها اي يصدر هذا
القول منهم وقت انطلاقكم وسيركم متوجهين الى فتح قلاع خيبر
مغانم كثيرة لتأخذوها لاجل اخذها منهم عنوة وقهرا عوضا
عما فاتكم من غنائم مكة حسبما وعدكم الله اياها وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه لما انصرفوا من الحديبية بالصلح وعدهم فتح خيبر
وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون
المنافقون ذرونا اتركونا بحالنا ولا تصدونا عن الخروج معكم
فانا نتبعكم في هذه الغزوة ونشهد معكم قتال اهل خيبر تلافيا لما

فرطنا

فرطنا من التخلف سابقا تبريدون بهذا الطلب والاتباع
ان يبدلوا كلام الله اي خطابه الازلي وحكمه القديم
بالوعد باختصاص غنائم خيبر لاهل الحديبية فلم يصادف ارادتهم
في نفس الامر الا بتبديل حكم الله مع انه لا يبدل القول لديه امر واحد
وحكم واحد ليس الا قال ابن عادل يريدون يجوز ان يكون مستانفا
وان يكون حالا من المخلفين وان يكون حالا من مفعول ذرونا
قوله كلام الله قرأ الاخوان كلم الله جمع كلمة والباقون كلام الله
قيل معناه يريدون ان يغيروا مواعيد الله تعالى لاهل الحديبية
بغنيمة خيبر خاصة قال مقاتل يعني امر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
ان لا يسير معه منهم احد وقال ابن زيد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما تخلف القوم اطلعه الله على ظنهم واظهر له نفاقهم وقال للنبي
صلى الله عليه وسلم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن
تقاتلوا معي عدوا والاول اصوب وعليه اكثر المفسرين وفي كلام
الله قولان احدهما مواعيد الله بغنيمة خيبر لاهل الحديبية خاصة
قاله ابن عباس والثاني امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان لا يسير معه
منهم احد وذلك ان الله وعده وهو بالحديبية ان يفتح عليه
خيبر ونهاه ان يسير معه احد من المتخلفين قاله مقاتل وعلى القولين
قصدوا ان يجيز لهم رسول الله ما يخالف امر الله فيكون تبديلا
لامره قل لهم في ذلك الوقت اقناطا لهم من ذلك الطمع لن تتبعونا

والمراد من الاخوان الحمزة
والكسائي
قال الفراء الكلام مصدر والكلم
جمع الكلمة منه

في هذه الغزوة او في جميع الغزوات كما هو الملائم لقوله تعالى
لن تخرجوا معي ابدا ذ انهم كانوا ارادوا في غزوة تبوك فان خصوص
السبب لا ينافي عموم الحكم على ما تقرر في محله والنفي في لن تتبعونا
بمعنى النهي للمبالغة كذلكم المذكور منهم من انكم لن تتبعونا قال
الله تعالى من قبل اي اخبرنا الله تعالى به قبل وقوعه
حين ما انصرفنا من الحديبية فما اخبر الله تعالى يستحيل خلافه فيمتنع
ان تتبعونا فلن تتبعونا البتة فيؤس قنوط وقد يقال
هذا في معنى النهي اي لا تتبعونا كذلك المذكور من ان نهيكم عن الاتباع
قال الله من قبل واخبرنا بنهيكم عنه قوله من قبل اي قبل عودنا من
الحديبية يعني قال الله بالحديبية قبل خيبر او قبل رجعنا اليكم ان غنيمة
خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب فسيقولون
لكم عند سماع هذا الجواب منكم ليس الامر كما قلتم من الله تعالى
اخبر بعدم اسماعنا او امركم بنهينا عن الاتباع وكل ذلك تعلل منكم
بل تحسدوننا ان نشارككم في احد الغنائم الحسد
هو ارادة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له صلاح فان
ترد زوالها عنه لكن تريد زوال نفسك مثلها وهو غبطة وعلى
هذا الحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين الحديث اي لا غبطة
الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا لمقاربتها فان لم يكن
له فيها صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيره وضد الحسد النصيحة

وهي ارادة

قوله كذلكم كقولكم

وهي ارادة بقائها نعمة الله على اخيك المسلم فيما له فيها صلاح فلما ظنوا في
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الحسد الذي هو ابعد الاحوال عن ذلك
الجناب المنزه غضب الله عليهم وقال ردا لقولهم الباطل بل كانوا
في انفسهم ان لا يقتضي احيانهم الثابتة متصفين بما هو اقبح وارذل
من الحسد وهو الجهل المفرط وسوء الفهم في امر الاخرة لانهم لا يفقهون
لا يعلمون بجهالة مالهم وعليهم الا علما قليلا انهم انما يعلمون
ظاهر امر الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم اذ هم كالانعام بل هم اضل
فاذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب
مسندة قرئ تحسدوننا بكسر السين بل للاضراب والمضروب
عنه محذوف فتقديره ما قال الله كذلكم من قبل بل تحسدوننا اي منعكم
الحسد من ان نصيب معكم الغنائم قل للمخلفين من
الاعراب اي المقيمين بهذه السمة السيئة اللازمة
لهيئتهم الصنفية غير متفكر عنها ففيه مبالغة في ذمهم ولهذا اعادهم
بهذا العنوان مع كون المقام مقام المضمر والمراد قل لهم الذين اشتهيتم
الخروج مع المؤمنين لقتال اعداء الدين فلا تعجلوا فتهيئوا فانكم
ستدعون فيما يستقبل الى قتال اولي باس شديد
هم اما بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والداعي هو ابو بكر رضي الله عنه ولهذا استدل
بهذه الاية الكريمة على خلافته اذ لا يجب اجابة الداعي اذا لم يكن اماما

وخليفة واما المشركون ويؤيده قوله تقاتلونهم او يسلمون
لان وجوب احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام انما هو بالنسبة
الى المرتدين والمشركين واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية ايضا
وقيل هم فارس والروم والداعي هو عمر رض بمعنى يسلمون اي ينقادوا
لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية وفي مصحف ابي
بن كعب او يسلموا بالنصب على ان يكون او بمعنى الى ان او حتى
معناه حتى يسلموا وقيل المراد بقوم اولي بأس ثقيف وهوازن
فان صح ذلك فيخص نفي دوام الاتباع بما في غزوة خيبر لان ذلك
وقع في عهد النبي عليه السلام قال ابن عادل لما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل
متشعبة دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يبقوا على ذلك
ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من حسن حاله فجعل
لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون الى قوم اولي بأس شديد و
يطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكوة ثم اتى
بها ولم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد
من الصحابة كذلك استمر حال هؤلاء لولا انه تعالى بين انهم يدعون
فان اطاعوا اعطوا الاجر الحسن والفرق بين حال هؤلاء وبين
حال ثعلبة من وجهين احدهما ان ثعلبة يجوز ان يقال حاله لم يكن
يتغير في علم الله فلم يبين لتوبته علامة وحال الاعراب تغيرت فان

بعد النبي

بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من المنافقين على النفاق احد
الثاني ان الحاجة الى بيان حال الجمع الكثير دون الجم الغفير اهم لانه
لولا البيان لافضى الاعراض الى قيام الفتنة بين فرق المسلمين
قال ابن عباس ومجاهد المراد بقوله قوم اولي بأس هم اهل فارس
وقال كعب الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن
جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم
حنين وقال الزهري هم بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة
الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الاية ولا نعلم
من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال
ابو هريرة لم تأت هذه الاية بعد قوله او يسلمون معنى قوله تعالى تقاتلونهم
او يسلمون اشارة الى ان احدهما يقع لان او بين المتغايرين
ويبنى على الحصر يقال العدد زوج او فرد ولهذا لا يصح قول
القايل هذا زيد او ابن عمرو اذا كان زيد بن عمرو اذا علم
هذا فقول القايل الازمك او تقضيني حقي معناه ان
الزمان انحصر في قسمين قسم يكون فيه الملازمة وقسم
يكون فيه قضاء الحق فلا يكون بين الملازمة وقضاء الحق
قسم ثالث ولا لما انحصر واذا كان كذلك يكون
زمان الملازمة ممتدا الى قضاء الحق فيكون قوله الازمك
او تقضيني كقوله الازمك الى ان تقضيني لا امتداد

ثم ان الملازمة الى القضاء فان تطيعوا امر ذلك
الداعى الى قتال قوم اولى باس شديد قال ابو المعالى
فى تفسيره قال ابن جريج فان تطيعوا ابا بكر وعمر رضى
الله عنهما يؤتكم الله اجرا حسنا هو الجنة ان
قتلتم والغنيمة ان قتلتم وقيل ان تطيعوا ابا بكر وعمر
يؤتكم الغنيمة فى الدنيا بدل ما فاتكم من غنايم خيبر والثواب
فى الاخرة وان تتولوا عن اجابة ذلك الداعى و
استنفرتم عن النفر معه كحمر مستنفرة فرت من قسورة
كما توليتم من قبل وما خرجتم معنا الى الحديبية وتعللتم
بالعلل الفاسدة يعذبكم عذابا اليما اى مولما يقال
الم فهو اليم كاوجع فهو وجيع ووصف به العذاب للمبالغة
كما فى قول تحية سهم ضرب وجيع على طريق جد جده فان الالم
والوجع حقيقة للمولم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل
هو بمعنى مولم كالسميع بمعنى مسمع وليس ذلك بثبت
فلما نزلت هذه الاية قال اصحاب الزمانة كيف بنا فاذ عينا
فلا نستطيع الخروج فنزل قوله تعالى ليس على الاعمى حرج
فى التخلف عن الغزوة ولا على الاعرج حرج فيه ولا على
المريض حرج تكرار الحرج وسلبه عن كل من الطوائف المذكورة
على حدة لتوسيع دائرة الرخصة عليهم وحزيد الاعتناء

بشانهم

بشانهم وللتنصيص بان كلا من وصف العمى والعرج
والمرض علة مستقلة فى نفى الحرج بدون انضمام الاخرين الان
كلا منها مانع للتكليف المنوط بالاستطاعة قال ابن عادل
وذلك لان الجهاد عبارة عن المقاتلة والكر والفر وهولاء الثلاثة
لا يمكنهم الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنهم الاحتراز و
الهرب وفى معنى الاعرج الاقطع والمقعد بل اولى ان يعذر
ومن به عرج لا يمنعه من الكر والفر لا يعذر ولذلك المرض
الذى لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال وبعض
اوجاع المفاصل اذا لم يصعد عن الكر والفر فهذه اعذار
فى نفس المجاهد ويبقى اعذار خارجة كالفقر الذى لا يمكن صاحبه
من استصحاب ما يحتاج له وكذا الاشتغال بمن لولاه
لضاع كطفل او مريض والاعذار المبيحة مذكورة فى
كتب الفقه وقدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى يستمر
ولو حضر القتال والاعرج ان حضر راكبا او بطريق يقدر
على القتال بالرمى وغيره ومعناه ليس على هولاء اثم
فى قعودهم عن القتال لعجزهم عنه يعنى ليس فى التخلف عن الغزو
لما بهم من العذر فان التكليف يدور على الاستطاعة ومن
يطع الله بامتثال اوامره والاجتناب عن نواهيه
ورسوله بان اخذ ما اتاه الرسول وانتهى عما نهاه

انه اذ انه عذر اخفا ما من الحجب والعوائق
بالرمز فى هذه الاية ظاهرا عن العموم وباطنا
مع الخصوص قال [illegible] ان للقران ظهرا وبطنا
وبطن بطن الى سبعة ابطن [illegible]
[illegible] ووجه [illegible]
[illegible] ان [illegible]
لا يطيق [illegible] وصف
وغيب الغيب [illegible]
جمال [illegible] معذورا
وجه [illegible] الحق او
الا [illegible] واجبا
انه [illegible]
معرفة [illegible] الرخص
التوحيد والعضا هو معذور [illegible] والاعرج
والدخول فى [illegible] الازلية
[illegible] ورحمه [illegible]
والابدية اذا كان [illegible] اى
الوحدة ووصول [illegible] الانس
هو معذور [illegible]
ولم يسر فى ميادين القربات فان [illegible]
سطوات [illegible] الكبرياء والعظمة و [illegible]
وهذا الاعرج معذور اذا لم [illegible] مقام
المشاهدة [illegible] المجاهدة والمريض
وهو الذى [illegible] ورؤية
جماله فهو معذور اذا باشر الروحانيات
مثل السماع واستعمال الطيب والنظر الى
المستحسنات فانه مداواته [illegible]

يدخله الله قرا اهل المدينة والشام ندخله بنون العظمة
وقرا الباقون بالياء لقوله ومن يطع الله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وامنا من كل مكروه
ومن يتول ومن يعرض عن طاعة الله ورسوله يعذبه
الله وقرئ بالنون ايضا عذابا اليما لا يكتنه كنهه ولا يقادر
قدره في الدنيا والاخرة وهذه الجملة كالفذلكة لما قبلها والتعليل
اذ الوعيد للمخلفين ونفي الحرج عن الطوايف الثلثة انما هو لعدم
اطاعة الله الاولين وتوليهم واطاعة الاخرين وانقيادهم
لقد رضي الله عن المومنين جملة مسوقة لتتميم حسرة الذين
خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية وتكميل حسرة
المخلفين عن تلك الغزوة ورضوان الله من الله اكبر من الدنيا
وما فيها وقد حصل للاولين وفات عن الاخرين ورضاء
عز وجل من العبد ان يرضى العبد من الله تعالى كما قال الله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه ومقام الرضا مفتاح مغالق المقامات
واشرف منازل السالكين وفي الحقيقة كل مقام من مقامات
العارفين باب ينفتح الى عالم اللاهوت والرضا والرضاء
اعظمه ولهذا قيل الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا
وحقيقته ترك العبد رضا نفسه لاجل رضا الله تعالى وعلامته
ان يتساوى عنده النعمة والبلاء والشدة والرخا ولهذا

قالت

رضي عنهم في الازل وسابق علم القدم
ويبقى رضاه الى ابد الابد لان رضاه
صفته الازلية الباقية الابدية لا يتغير
بتغير الحدثان ولا بالوقت والزمان ولا
بالطاعة والعصيان فاذا هم باصطفائيته
باقون الى الابد لا يسقطون عن درجاتهم
بالزلات ولا بالبشرية والشهوات لان
اهل الرضا محروسون برعايته لا يجري عليهم
نعوت اهل البعد وصاروا متصفين
بوصف رضاه فرضوا عنه كما رضي عنهم
قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
وهذا بعد قذف انوار الانس في قلوبهم
منه

قالت رابعة العدوية انما يتحقق العبد بمقام الرضا اذا سرته
المصيبة كما سرته النعمة وقيل لابي يزيد البسطامي ما تريد
قال اريد ان لا اريد والتحقيق بهذا المقام كان غالبا على
النشاة الموسوية كما يدل عليه قوله تعالى في قصة موسى
عليه السلام حيث قال وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم
اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى ومن علامته
ايضا ان لا يجد العبد على نفسه حرجا بما قضاه الله ويسلمه
تسليما ويكون رضاؤه وارادته متلاشية ومضمحلة في رضاء
الله تعالى فيمحى بمقام وما تشاؤن الا ان يشاء الله حتى
يرجع الى ربه راضية مرضية وقوله تعالى اذ يبايعونك
ظرف لرضي والعدول عن الماضي الى صيغة المضارع الحالية
لاستحضار الصورة البديعة وقوله تعالى تحت الشجرة
ظرف للمبايعة او متعلق بمحذوف هو حال من مفعوله وكان
صلى الله عليه وسلم جالسا تحت سمرة او سدرة روي انها
عميت عليهم من قابل فلم يدروا اين ذهبت قال سعيد بن المسيب
حدثني ابي انه كان ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة
قال فلما خرجنا من العام المقبل بعد ان ذهبت الشجرة فجعل
اين كانت فبعضهم يقول ههنا وبعضهم ههنا فلما كثر اختلافهم
قال سيروا وقد ذهبت الشجرة وعن عبد الله بن مغفل كان رسول

صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة يبايع الناس وانى لارفع اغصانها
عن راسه المباركة وقيل كانت الشجرة بفنج نحو مكة قال
نافع كان الناس ياتون تلك الشجرة فيصلون عندها فبلغ
ذلك عمر بن الخطاب فامر بقطعها فقطعت كذا في تفسير نهاية
البيان للامام ابي المعاني قال ابن عباس هم اثنى الله على الذين
بايعوا رسوله تحت الشجرة يوم الحديبية وكانوا الفا وخمسمائة
رجل واول من بايعه رجل في قبيلة بني الاسد يقال له ابو
سنان بن وهب الاسدي عن سلمة بن الاكوع عن
ابيه قال بينما نحن قاعدون زمن الحديبية نادى منادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس البيعة البيعة نزل
روح القدس قال فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه وبهذه الاية الكريمة تسمى
بيعة الرضوان فعلم ما في قلوبهم من الصدق والاخلاص
حين مبايعتهم له عليه الصلاة والسلام والجملة معطوفة على
يبايعونك باعتبار المعنى لكونه في معنى بايعوك ولا يصح عطفه
على رضي لان رضاه مترتبا على علمه بما في قلوبهم السابق عليه
او معناه فعلم ما في قلوبهم من الكراهة للبيعة على ان يقاتلوا
ولا يفروا قاله مقاتل وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكآبة بعهد
المشركين اياهم وتخلف رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم اذ راى

انه يدخل

انه يدخل الكعبة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان ذلك
رؤيا منام فانزل السكينة والطمانينة والامن وسكون
النفس عليهم بالربط في قلوبهم حتى بايعوا على ان يقاتلوا
ولا يفروا وهذه الجملة معطوفة على جملة رضي الاية لان انزال
السكينة مترتب على الرضا كترتب الرضا على علم ما في قلوبهم
فان قيل الفاء في فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لانه
علم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء فرضي عنهم فكيف تفهم
التعقيب في العلم الجواب ان قوله فعلم ما في قلوبهم
متعلق بقوله اذ يبايعونك كما تقول فرحت امس اذ
كلمت زيدا فقام الي او اذ دخلت عليه فاكرمني فيكون
الفرح بعد الاكرام مرتبا كذلك ههنا قال لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة
الى الرضاء لا يكون عند المبايعة حسب بل عند المبايعة التي
كان معها علم الله بصدقهم وكذا الفاء في قوله فانزل للتعقيب
فانه تعالى رضي عنهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا
عظيما هو فتح قلاع خيبر في ايام قلايل قريبا من بيعة الرضوان
كما مر انه عليه الصلاة والسلام لما رجع من الحديبية ما اقام
بالمدينة الا بقية ذي الحجة وفي اوايل محرم فتح قلاع خيبر
ومغانم كثيرة واثابهم ايضا غنايم كثيرة من اي جنس من الصامت

رضي الله عنهم فارضاهم واوصلهم
الى مقام الرضى والتسليم والطمانينة
فانزل الله سكينته عليهم ليسكن
قلوبهم اليه
منه

واثابهم اي اعطاهم

اي جزاء الاسارى

بيعية اثات

والباطن والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة في قوله
تأخذونها لتشريفهم في مقام الامتنان والتصريح بذلك الاخذ
مع ان اثابة المغانم الكثيرة اياهم يستلزم اخذهم اياها لتنشيطهم
والتصريح بان اخذهم اياها حقوق برضاء الله واذنه والمراد
من مغانم كثيرة مغانم خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وقيل لما سمع اهل
القرى المجاورة لاهل خيبر ما جرى عليها صالحوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الشطر من قراهم وفدك في جملتها فهي من المغانم
الكثيرة وكان الله عزيزا غالبا على الاطلاق حكيما مشتملا
افعاله وقضاياه على الحكم والمصالح فلعزته يفعل ما يشاء ولحكمته
يفعل ما يريد او عزيزا كامل القدرة غنيا عن اعانتكم اياه حكيما حيث
جعل هلاك اعدائه على ايديكم لتثابوا عليه او لان في ذلك كان
اعزاز قوم واذلال آخرين يذل من يشاء لعزته ويعز من يشاء
لحكمته وعدكم الله مغانم كثيرة جملة مسوقة لبيان ان ما
اثابهم الله من المغانم الكثيرة ليس مقصورا على ما في هذا الفتح القريب
بل وعدهم الله ان يثيبهم الله مغانم كثيرة هي ما افاء الله
على المؤمنين الى يوم القيمة تأخذونها اخذا مستمرا الى قيام الساعة
فعجل لكم هذه الغنائم التي نلتم اليها في فتح قلاع خيبر ليكون لكم عجالة
نافعة وعلالة رائقة وكف ايدي الناس عنكم الذين

بالتعبيه على الاعداء

كانوا لكم

كانوا لكم اعداء عنكم حتى ان حلفاء خيبر من بني اسد وغطفان
جاؤا لامدادهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا على
اعقابهم ولتكون الواو اما اعتراضية واللام متعلقة بمحذوف
اي فعل ما فعل من التعجيل والكف لتكون هذه الغنيمة المعجلة والكفة
اية امارة للمؤمنين يعرفون بها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وعده لهم عند الرجوع من الحديبية بما ذكر من الغنائم وفتح مكة
ودخول المسجد الحرام واما عاطفة واللام متعلقة بما
تعلق به علة اخرى محذوفة اي فعجل لكم هذه وكف ايدي
الناس لتشكروا هذه النعم ولتكون لكم آية دلالة على
حسن صنع الله بالمسلمين وليعلموا ان الله هو المتولي حياطتهم
وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم قال ابو المعالي في تفسيره
المسمى بنهاية البيان فيه ثلاثة اقوال احدها انهم اليهود
هموا ان يغتالوا عيال المسلمين الذين خلفوهم في المدينة
فكفهم الله عن ذلك قاله قتادة الثاني انهم اسد وغطفان
حلفاء خيبر جاؤا لينصروا اهل خيبر فقذف الله في قلوبهم
الرعب فانصرفوا عنهم قاله مقاتل قال الفراء كانت
اسد وغطفان مع اهل خيبر فقصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصالحوه وخلوا بينه وبين خيبر وقال غيرهما بل همت
اسد وغطفان باغتيال اهل المدينة فكفهم الله عن ذلك

او يعرفون بها انهم من الله بمكان فافهم

يعني المراد منه الناس

والثالث انهم اهل مكة كفهم الله بالصلح حكاه الثعلبي وغيره
وفي قوله عنكم قولان احدهما انه على اصله قاله المفسرون
والثاني عن عيالكم قاله ابن قتيبة وهو مقتضى قول قتادة
قوله ولتكون اية في المشار اليها قولان احدهما الفعلة
التي فعلها بكم من كف ايديهم عنكم كانت اية للمؤمنين فعلموا
ان الله متولي حراستهم والثاني انها خيبر كان فتحها
علامة للمؤمنين في تصديق رسول الله فيما وعدهم به والواو
في ولتكون مقحمة عند الكوفيين وقال البصريون عاطفة على
مضمر اي وكف ايدي الناس عنكم لتشكروه وقوله
ولتكون يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها انه يتعلق بفعل مقدر
بعده تقديره ولتكون فعل ذلك والثاني انه معطوف على
علة محذوفة تقديره وعد فعجل وكف لينتفعوا ولتكون
او لتشكروا ولتكون الثالث ان الواو مزيدة والتعليل
لما قبله اي وكف ليكون ويهديكم ويوصلكم بتلك الاية
صراطا مستقيما هو التوكل التام عليه في كل ما تاتون
وتذرون لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما
اتاكم قال اهل التفسير وفيه قولان احدهما طريق التوكل
عليه والتفويض اليه والثاني يزيدكم هدى بالتصديق لمحمد
صلى الله عليه وسلم ويثبتكم على الهداية قاله القشيري قال ابن عادل

في قوله ويهديكم

في قوله ويهديكم الاية يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا
بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم
ثم خرج في سبعة الى خيبر روى انس بن مالك ان النبي صلعم
كان اذا غزا واتى قوما بليل لم يغز بهم حتى يصبح فان سمع
اذانا امسك والا اغار فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اتى خيبر ليلا حتى اصبح ولم يسمع اذانا فركب وركبنا
معه وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم رسول الله
صلعم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا رسول الله
قالوا محمد والله محمد فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر
الله اكبر خربت خيبر وروى اياس بن سلمة قال حدثني
ابي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي
يرتجز رجز بالقوم تالله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن بفضلك ما استغنينا
فثبت الاقدام ان لاقينا وانزل السكينة علينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقالوا ابا عامر قال
غفر لك ربك وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب
وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما

قد عرفت خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول • قد علمت
خيبر اني مرحب • شاكي السلاح بطل مجرب • اذا الحروب
اقبلت تلهب فقال علي رضي الله عنه انا الذي سمتني امي حيدره •
كليث غابات كريه المنظره • اكيلكم بالصاع كيل السندره •
قال فضرب راس مرحب فقتله • ثم كان الفتح على يديه وبدي
اكيلكم بالسيف كيل السندره • اي اقتلكم قتلا واسعا
ذريعا والسندرة مكيال واسع • قيل يحتمل ان يكون اخذ
من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي والسندرة
ايضا العجلة والنون زايدة وفي فتح خيبر روايات من طرق •
في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض ومن •
اراد تفصيله فلينظر الى تاريخ الخميس • واخرى •
اي ويعجل لكم غير هذه الغنايم مغانم اخرى • قال ابن عادل •
يجوز فيها اوجه احدها ان يكون مرفوعة بالابتداء •
ولم يقدروا عليها صفتها وقد احاط الله بها خبرها •
الثاني ان الخبر محذوف مقدر قبلها اي وثم اخرى لم يقدروا •
عليها الثالث ان يكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة
التفسير فيقدر الفعل من معنى المتاخر وهو قد احاط الله •
بها اي وقضى الله اخرى والرابع ان يكون منصوبة بفعل •
مضمر لا على شريطة التفسير بل لدلالة السياق اي ووعد اخرى

اووا ناكم

روي انه لم يكن في اهل خيبر
اشجع من مرحب وكان
يومئذ قد لبس درعين وتقلد
سيفين واعتم بعمامتين
ولبس فوقهما مغفرا قد نقبه حجر
البيضة ولم يقدر احد من المسلمين
ان يقاومه في الحرب فبرز له علي
رضي الله عنه وهو يرتجز بقوله انا
الذي الخ روي كانت امه
فاطمة بنت اسد سمته اسدا
باسم ابيها وكان ابو طالب غايبا
فلما رجع كره ذلك وسماه عليا
منه

اووا ناكم اخرى الخامس ان يكون مجرورة برب مقدرة •
ويكون الواو واو رب ذكره الزمخشري وفي المجرور بعد •
الواو المذكورة خلاف مشهور اهو برب مضمرة ام
بنفس الواو الا ان ابا حيان قال ولم تات رب جارة
في القران على كثرة دور ربما يعني جارة لفظا والاخفش قيل •
انها جارة تقدير ههنا وفي قوله ربما على قولنا ان ما نكرة موصوفة
قد احاط الله بها والمعنى لم يكونوا يقدروا عليها بقدرتكم •
واجتهادكم لولا اقدار الله اياكم عليها بفضله وهي مغانم هوازن
في غزوة حنين ولما اشتد الامر في هذه الغزوة على المسلمين •
في اول الامر حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وصف •
الله تعالى مغانمها بعدم قدرتهم عليها وانه قد احاط الله بها •
اي قدر عليها قدرة تامة واظفركم عليها فالجملة صفة •
بعد صفة لاخرى وفايدتها ان هذه المغانم وان كان •
صعب النيل وعسر الوصول بالنسبة الى قدرتكم الا انها •
في جنب القدرة الالهية الكاملة اسهل وايسر قيل ان اخرى
يجوز نصبه بمضمر يفسره قد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى
واعترض عليه بانه لا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها •
بعد انه راجع في جهة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله •
مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فايدة وانما الفايدة •

في بيان تعجيلها فهو معطوف على مفعول فعجل انتهى اقول مناط
الفايدة في هذه الاخبار وصف عدم كونها مقدورا لهم فانه
لم يكن يخطر ببالهم ان في جملة الغنائم الموعوده ما يصعب نيلها
ويعسر الوصول اليه فلزيادة الامتنان عليهم صرح به وكفاك
هذا مزيدا للفايدة قال ابن عادل قوله قد احاط الله بها يجوز ان
يكون خبر الاخرى كما تقدم او صفة ثانية اذا قيل بان اخرى مبتداء
وخبرها مضمر او حال ايضا قال المفسرون معناه اي ووعدكم
فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها حتى يفتحها لكم
كانه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس
علم الله انه يفتحها لكم قال الامام الفخر الرازي تقديره وعدكم
مغانم تاخذونها ومغانم لا تاخذونها انتم ولا تقدرون عليها
وانما ياخذها من يجيء بعدكم من المؤمنين وهذا تفسير الفراء قال
معنى قوله قد احاط الله بها اي حفظها للمؤمنين لا يجري عليها
هلاك وفناء الى ان ياخذها المسلمون كاحاطة الحارس
بالخزاين واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل
هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس
والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام
وقال الضحاك وابن زيد هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم
قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة

وقال عكرمة

وقال عكرمة حنين وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم وكان
الله ازلا وابدا على كل شيء اي شيء بالوجود ولا حاجة الى استثناء
الواجب والممتنع لان الشيء بمعنى ما شاء الله وجوده لا يكون
وان يكون واجبا ولا ممتنعا فلا يدخلان تحت الشيء حتى يحتاج
الى استثنائهما وتخصيصه بالممكن والسر فيه ان الشيء عندنا
يرادف الموجود لانه مصدر بمعنى المفعول اي مشيء الوجود ونعم الشيء
بمعنى الشائي يتناول الواجب ايضا كما قال تعالى قل اي شيء اكبر
شهادة قل الله وبمعنى ما يصح ان يعلم ويخبر عنه يتناول الممتنع ايضا
لكن في هذا المقام بمعنى مشيء الوجود فهو تعالى على كل ما يدخل تحت الوجود
قدير لان المقتضي لقدرته هو ذاته المقدسة عن شوايب العجز والمصحح
للمقدورية هو الامكان اللازم لماهية الممكن فلا يتعالى عن قدرته
شيء من الممكنات فكل ما يمكن ان يوجد وهو معنى الشيء يصح له
ايجاده وتركه وهو معنى القدرة عند المتكلمين وليس شيء منهما
لازما لذاته بحيث يستحيل انفكاكه عنها كما زعمت الفلاسفة قال بعض
اهل التفسير وكان الله على كل شيء قديرا اخبر فتح هذه القرى وانجاز
هذه المواعيد يعني صاحب القدرة لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء
دون شيء ثم بين ان نصر الله اياهم في صلح الحديبية او فتح
خيبر لم يكن اتفاقيا كان الهيا سماويا ولو قاتلكم الذين كفروا
يعني ليست الحكمة في تاخير القتال عام الحديبية ان كفرة مكة لو

لو قاتلكم

قاتلوكم لهزموكم بل القضية كانت منعكسة فانهم لو قاتلوكم لولوا
الادبار ولانهزموا منكم وانقلبوا على اعقابهم وظهورهم
خاسئين لان الله ينصركم وانهم قذفوا منهزمين لما في قلوبهم الرعب
قال الفخر وهذا يصلح جوابا لمن يقول كف الايدي عنهم كان
امرا اتفاقيا ولو اجتمع عليهم العرب كما زعموا المنهزمون من فتح
خيبر واغتنام غنايمها فقال ليس كذلك بل سواء قاتلوا او
لم يقاتلوا لا ينصرون والغلبة واقعة للمسلمين فليس امرهم
امرا اتفاقيا بل هو امر الهي محكوم به محتوم ثم لا يجدون وليا
ملجأ يلتجئون اليه ولا نصيرا ينتصرون بنصره وتاييده اذ
ما النصر الا من عند الله فانتم جند الله واولئك حزب الشيطان
الا ان جند الله هم الغالبون وحزب الشيطان اولئك هم الخاسرون
وهكذا جرت العادة القديمة الالهية لا يتطرق اليها التبديل قيل
قوله وليا اي قريبا ينفعهم ويحرسهم ولا نصيرا اي ناصرا ينصرهم
ويمنعهم عن الهزيمة لان الله تعالى قد خذلهم وفي هذه الاية
ايناس للمؤمنين من الوحشة التي اعترت بعضهم بانصرافهم وتشجيع
لقلوبهم على كل جهاد سنة الله التي قد خلت من قبل
اي غلبة جند الله على حزب الشيطان سنة قديمة سنها الله تعالى
فيمن مضى من الامم يعني سن الله غلبة رسله وانبيائه سنة قديمة
وهي قوله لاغلبن انا ورسلي يعني هكذا اجرى الله العادة في الامم

وفق قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا

الخالية

الخالية ان الكافرين لا يجدون وليا ولا نصيرا وانهم مخذولون
في كل وقت وان امهلوا الى حين وسنة الله منصوبة
على المصدر مؤكدة لمضمون الجملة المتقدمة اي سن الله
خذلانهم سنة قال الفخر وهذا جواب عن سؤال اخر
يقوله قوم من الجهال وهو ان الطوالع والاتصالات
لها تاثيرات وتغييرات فقال الله تعالى ليس كذلك بل سنة
الله نصرة رسله واهلاك عدوه والمعنى هذه سنة الله
في نصر اوليائه وقهر اعدائه ولن تجد لسنة الله تبديلا
اي احدي الذات واحدي الصفات حكمه واحد واحد فلا
يصح لديه تردد ولا اختلاف وتبدل وهو الذي من جملة
ما انعم عليكم عام الحديبية انه كف ايديهم اي ايدي مشركي
مكة عنكم حيث لم يمكنوهم عليكم ان تستأصلوهم ببطن
مكة اي داخل حيطانها وخلال دورها من بعد ان اظفركم
عليهم حين ما خرج عكرمة بن ابي جهل في خمسماية الى الحديبية
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند
فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة فجاسوا خلال الديار ثم عادوا
وقيل كان هذا الظفر يوم فتح مكة وبه استشهد ابو حنيفة رح على ان مكة
فتحت عنوة لا صلحا قال ابن عادل وهذا يبين لما تقدم من قوله
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار بتقدير الله كما انه كف ايديهم

وايديكم عنهم

نسخة في حجر بعضهم عن بعض بقوله وهو الذي

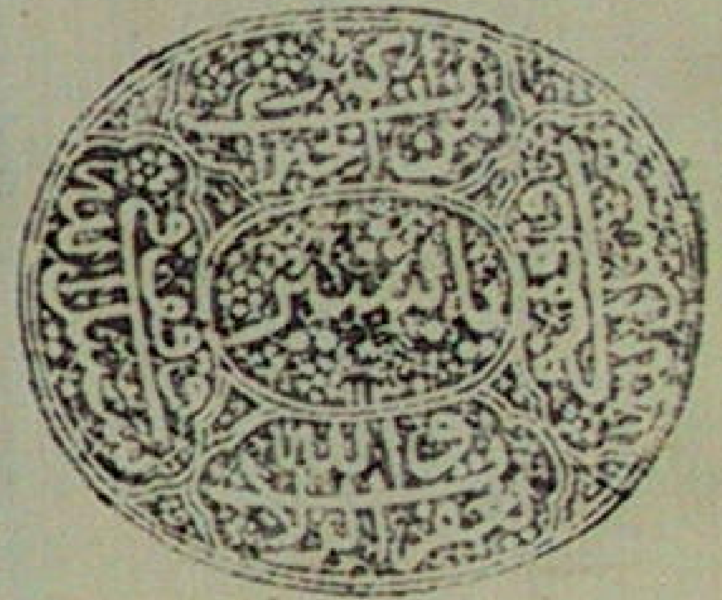
عنكم بالفرار وايديكم بالرجوع عنهم وتركهم روى ثابت عن
انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون
غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم
فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة
من بعد ان اظفركم عليهم قال عبيد الله بن معقل المزني كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي
قال الله تعالى في القران وعلى ظهره غصن من اغصان الشجرة
فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب
الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا
في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله
بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلعم
جئتم في عهد او هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم
فانزل الله هذه الاية وذكر قتادة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث خيلا فاتوه باثني عشر فارسا من الكفار
فارسلهم وقال مقاتل خرجوا يقاتلون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهزمهم النبي صلعم بالطعن والنبل حتى ادخلهم بيوت مكة
فنزلت هذه الاية وقال الكلبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خرج بالهدي وانتهى الى ذي الحليفة قال له عمر يا رسول الله

تدخل

تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع قال فبعث
الى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا الا حمله وكلما
دنا من مكة منعوه ان يدخل فسار حتى اتى منى فبلغ النبي
صلعم ان عكرمة بن ابي جهل قد خرج عليك في خمسمائة فقال
لخالد بن الوليد هذا ابن عمك قد اتاك في الخيل فقال خالد
انا سيف الله وسيف رسوله فبعثه فلقي عكرمة في الشعب فهزمه
حتى ادخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى ادخله حيطان
مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى ادخله حيطان مكة فانزل الله
هذه الاية وقيل لم يكن خالد يومئذ مسلما وانما اسلم بعد ذلك
قال المفسرون معنى الاية ان الله تعالى ذكر منته عليهم اذ حجز بين
الفريقين فلم يقتتلا حتى تم الصلح بينهما وفي بطن مكة ثلثة
اقوال احدها انه الحديبية لان بعضها مضاف الى الحرم قاله ابن
انس والثاني وادي مكة قاله السدي والثالث التنعيم
حكاه ابو سليمان الدمشقي من بعد ان اظفركم عليهم اي بهم
يقال ظفرت بفلان وظفرت عليه وكان الله بما
تعملون بجميع اعمالكم سرا وجهرا ومن جملتها هزمهم اولا والكف
عنهم ثانيا لتعظيم بيته والا فهم ائمة الكفر وكانوا احقاء
بالاستيصال بصيرا فيجازيكم بذلك ان خيرا فخير وان شرا
فشر واعلم ان البصير والسميع من اوصاف الذات

التنعيم موضع بمكة خارج الحرم وهو ادنى الحل اليها
على طريق المدينة منه يحرم المكيون بالعمرة به مساجد
مبنية بين سرف ومكة قال علي في تخريج في مكة
قيل اربعة قلت لا خلاف بين الناس انه على ثلثة
اميال من مكة
مراصد الاطلاع

والسمع ادراك المسموعات حال حدوثها والبصر ادراك
المبصرات حال وجودها وقيل انهما في حقه تعالى صفتان
ينكشف بهما المسموعات والمبصرات انكشافا ولا يلزم
من افتقار هذين النوعين من الادراك فينا الى الة افتقارهما
اليها بالنسبة الى الله تعالى لان صفات الله تعالى مخالفة لصفات
المخلوقين بالذات وان كانت يشاركها في العوارض والاسم
وفي بعض اللوازم الا ترى ان صفاتنا اعراض عارضة
معرضة للافة والنقصان وصفاته تعالى مقدسة عن ذلك
وحظ العبد منهما ان يتحقق انه بمسمع من الله ومرئى منه
فلا يستهين بها باطلاع الله عليه ونظره اليه ويراقب
مجامع احواله من مقاله وافعاله قراء ابو عمرو يعملون
بالياء وقراء الاخرون بالتاء الفوقانية ومن قراء بالخطاب
فهو رجوع الى قوله ايديكم وعنكم والمعنى ان الله يرى فيه
من المصلحة وان كنتم لا ترون ذلك ثم ذكر سبب منعه الرسول
صلى الله عليه وسلم ذلك العام دخول مكة هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام بيان لجناياتهم العظيمة ليوسموا بسمة قبيحة
لا تنفكوا عنها اينما سلكوا والمقصود انهم جمعوا بين جنايتي
الكفر والصد والا فلا فايدة في الاضمار عن كفرهم فقط
المراد من الذين كفروا كفار مكة قال ابن عادل وهذا اشارة



الى ان الكفر

٤١

الى ان الكفر لم يكن الامن لانهم كفروا وصدوكم
واحصروا وكل ذلك يقتضي قتالهم فلا يقع لاحد ان الفريقين
اتفقوا واصطلحوا ولم يبق بينهما خلاف ونزاع بل الاختلاف
والنزاع باق حتم لانهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوكم
فازدادوا كفرا وعداوة وانما ذلك للرجال المؤمنين
والنساء المؤمنات والهدى اى وصدوا الهدى
على انه منصوب معطوف على مفعول صدوا او عن نحر الهدى
على انه مجرور معطوف على المسجد بحذف المضاف والهدى
ما يهدى الى مكة وقرئ برفعه على انه مرفوع بفعل مقدر لم يسم
فاعله اى وصد الهدى وقراء العامة على فتح الهاء
وسكون الدال وروى عن ابى عمرو وعاصم وغيرهما بكسر
الدال وتشديده وحكى بن خالويه ثلث لغات الهدى
وهى المشهورة لغة قريش والهدى والهدا معكوفا اى
محبوسا حال من الهدى ان يبلغ محله او محبوسا من ان يبلغ
محله قال القاضي رحمه الله في تفسيره ومحله مكانه الذى
يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذى
لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول عليه السلام حيث
احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدى المحصر هو الحرم
انتهى والجواب ان بعض الحديبية من الحرم روى ان خيامه

قلت انما استدل الحنفية على ان المطلوب بقوله
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فانه خاص
بالمحصر او يعمه ولا عبرة بما قاله الخطيب وهذا
دليل لابى حنيفة ولقد اغرب حيث اخذ في تقرير
الاستدلال وساق الكلام على وجه انتج انه لا
دلالة فيه وهذا من مثله بعيد بديع
سعدى افندى

الحل المكان خارج الحرم

صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك
نحرت هو اياه والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو
منى قال ابن عادل قوله معكوفا يقال عكفت الطير عن حاجته
وانكر الفارسي تعديته عكف بنفسه واثبتها ابن سيده
والازهري وغيرهما وهو ظاهر القران لبنا اسم مفعول منه
قوله ان يبلغ محله فيه اوجه احدها انه على اسقاط الخافض
اي عن ان او من ان وح يجوز في هذا الجار المقدر ان يتعلق
بصدوكم وان يتعلق بمعكوفا اي محبوسا عن بلوغ محله الثاني
انه مفعول من اجله وح يجوز ان يكون علة للصد والتقدير
صدوا الهدي كراهة ان يبلغ محله وان يكون علة لمعكوفا
اي لاجل ان يبلغ محله ويكون الحبس من المسلمين الثالث
انه بدل من الهدي بدل اشتمال اي صدوا بلوغ الهدي
محله ومعنى الاية الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم
منعوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به والهدي اي وصدوا
الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت سبعين بدنة معكوفا محبوسا يقال عكفته عكفا
اذا حبسته وعكوفا للازم كما يقال رجع رجعا ورجوعا
ان يبلغ محله منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم ولولا
رجال مومنون موجودون من المشركين في مكة ونساء

مومنات

مومنات لم تعلموهم صفة رجال ونساء اي لم
تعرفوهم باعيانهم لكونهم في زي المشركين لاختلاطهم
بهم وان كنتم عالمين على الوجه الكلي بان فيها مومنين
قال ابن عادل قوله لم تعلموهم صفة للصنفين وغلب
الذكور على الجهة التغليب ان تطؤوهم بدل اشتمال
من رجال ونساء اي لولا ان تطؤوا وتوقعوا فتهلكوا
اناسا مومنين غير عالمين بهم ويجوز ان يكون بدلا من مفعول
تعلموهم فالتقدير على الاول ولولا وطي رجال ونساء غير معلومين
وتقدير الثاني لم تعلموا وطأهم والخبر محذوف تقديره ولولا
رجال ونساء موجودون او بالحضرة واما جواب
لولا ففيه ثلاثة اوجه احدها انه محذوف لدلالة جواب لو
عليه والثاني انه مذكور وهو لعذبنا وجواب لو هو المحذوف
فحذف من الاول لدلالة الثاني ومن الثاني لدلالة الاول
والثالث ان لعذبنا جوابهما معا وهو بعيد ان اراد حقيقة
ذلك وقال الزمخشري قريبا من هذا فانه قال ويجوز ان يكون
لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مومنون لمرجعهما الى معنى واحد
ويكون لعذبنا هو الجواب ومنع ابو حيان مرجعهما لمعنى واحد
قال لان ما تعلق به الاول غير ما تعلق به الثاني قال ابو المعالي
في تفسيره المسمى بنهاية البيان وقيل لولا من في اصلاب

انظر كيف شفقة الله على المومنين
الذين يراقبون الله في السراء والضراء
ويرضون ببلائه كيف حرسهم عن الخطرات
وكيف اخفاهم بستره عن صدمات
قهره وكيف جعلهم في كنفه حتى لا يطلع
عليهم احد وكيف يدفع ببركتهم البلاء
عن غيرهم وفي الاية رمز اعلام
رعاية الكبرياء للمريدين قال سهل
المومن على الحقيقة من لا يغفل عن نفسه
وقلبه يفتش احواله ويراقب اوقاته
فيرى زيادته من نقصانه فيشكر
عند رؤية الزيادة ويتضرع ويدعو
عند النقصان هو لا يدفع الله بهم
البلاء عن اهل الارض والمومن من
لا يكون متهاونا بادنى التقصير فان
التهاون بالقليل يستجلب الكثير
منه

الكفار وارحام نسائهم من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات
لم تعلموا ان تطئوا اباءهم فيهلك ابناؤهم حكاه الماوردي
وغيره عن الضحاك فتصيبكم منهم من جهتهم معرة اي مشقة
ومكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والحزن عليهم وتعيير
الكفار بقطع صلة الرحم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وحمل
ان تطئوهم بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعلموهم حالا
يلايمه قوله تعالى بغير علم لانه متعلق بان تطئوهم اذ يصير
المعنى ح لم تعلموا ان تطئوهم غير عالمين بهم ولا يخفى ركاكة
هذا المعنى وصواب لولا محذوف يدل عليه الكلام والمعنى لولا
كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين
انتم بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم لكن كف
ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور قال ابو المعالي
في المعرة ستة اقوال احدها الاثم قاله ابن زيد والثاني غرم
الدية قاله ابن اسحق والثالث كفارة الخطأ قاله ابن
السايب والرابع عتب بقتل من هو على دينكم حكاه جماعة
من المفسرين والخامس شدة وهو قول قطرب والسادس
غم حكاهما الماوردي قوله بغير علم موضعه التقديم لان
التقدير لولا ان تطاؤهم بغير علم فاللام في ليدخل الله
متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف في رحمته التي وسعت

قوله ليدخل متعلق بمحذوف يدل عليه المعنى
اي كان انتفاء التسليط على اهل مكة
وانتفاء العذاب ليدخل منه

كل شيء

كل شيء من يشاء ان يدخل في رحمته من مؤمني اهل مكة
بان يفيض عليهم انواع نعم دنيوية واخروية ويحيط عليهم
نعمه تعالى احاطة البيت لمن يدخله فانهم وان كانوا قبل ذلك
الكف المؤدي الى الفتح مرحومين بالرحمة الاخروية لكنهم كانوا
محرومين عن الرحمة الدنيوية لكونهم مستضعفين تحت ايدي
الكفرة غير امنين وكانوا قاصرين في الرحمة الاخروية لعدم
تمكنهم من اقامة مراسم الاسلام كما ينبغي فمكنهم من اقامتها على
الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية فتبديلهم من بعد خوفهم
امنا وتوفيقهم على اقامة شعاير الاسلام وجعلهم اعزة
بعد ما كانوا اذلة بين المشركين ادخال لهم في كلا نوعي الرحمة
وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام
من المشركين ورد ذلك بانه يأبى قوله تعالى لو تزيلوا فان
فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة
بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم اقول لا يأباه كل الاباء
اذ المعنى لعذبنا الذين اصروا منهم على الكفر ولم يرغبوا في
الاسلام فالمباينة بين الفريقين متحققة ايضا ثم ان هذه
الجملة مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها يعني انا كف ايديكم

قوله لو تزيلوا لعذبنا لافادة انهم مستحقون للعذاب
والثاني هو ان اختلاط بالمسلمين خلا لهم يمنع
وتنزيل في الدنيا لم يعذبوا فيها منه

اي بقتل مقاتليهم والا فيجوز الصلح بينهم
ولا يلزم قتلهم البتة منه

عنهم لاختلاط المومنين لهم في الواقع وعدم تميزهم بعضهم من بعض
اذ لو فرض عدم اختلاطهم بان يكونوا متميزين لماكف ايديكم
عنهم بل عذب الكافرين وانجى المتقين قال ابو المعالي
قوله لو تزيلوا فيه ثلاثة اقوال احدها لو تفرقوا قاله ابن
عباس والثاني لو تميزوا قاله ابن قتيبة والزجاج
الثالث لو ازيلوا قاله الضحاك وروى عن ابي عون
وابي حيوة لو تزايلوا بالالف بين الزاء والياء
خفيفة وهذا على الوصف للطايفتين من المومنين
والكافرين اي لو زايل بعضهم بعضاً وقوله تعالى
اذ جعل الذين كفروا لوضع الموصول موضع الضمير
لتعليل الحكم ولذمهم بما في حيز الصلة اما ظرف لعذبنا او
منصوب على المفعولية باضمار اذكر والجعل ان كان بمعنى
الالقاء فيتعلق به قوله تعالى في قلوبهم الحمية اي الانفة
والعجب وان كان بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف
وهو مفعول ثان اي جعلوها ملكة راسخة في قلوبهم
وجحدوا الحق بعد ما استيقنتها انفسهم لفرط جهلهم
وحميتهم حمية الجاهلية حمية ناشية من الجاهلية فان
الحمية الناشية من المعرفة والغيرة في الدين محمودة
والحمية الانفة والانكار يقال فلان ذو حمية اذا كان ذا

غضب

غضب وانفة قال المفسرون انما اخذت اهل مكة الحمية
حين اراد رسول الله دخول مكة فقالوا لا يدخلون علينا
وقد قاتلوا ابناءنا واخواننا فتحدث العرب بذلك
والله لا يكون هذا فهذه الحمية حمية الجاهلية التي قد دخلت
قلوبهم الانف غيرة واستنكاف بالحركتين قوله حمية
الجاهلية بدل من الحمية الاولى اي حمية الملة الجاهلية او
الحمية الناشية من الجاهلية التي تمنع اذعان الحق
فهذه الحمية حمية الجاهلية ثم لما ذكر سوء صنيع الكفرة
قرنه بتذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمومنين
بتوفيق الله تعالى فقال عز من قايل فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المومنين او المعنى لو تزيلوا لعذبنا
لكن لم تزيلوا فلم نعذب فانزل الله الاية وذلك ما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلوا الحديبية بعثوا سهيل
بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على ان
يعرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه
ذلك على ان يخلي له قريش مكة من العام ثلثة ايام فاجابهم
رسول الله صلعم وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم
لعلي رضي الله عنه اكتب كتابا وابدا ببسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف ما الرحمن وما الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم

سكينة الرسول كشف القدس وسكينتهم
نزول قلوبهم منازل الانس وكلمة التقوى
التقوى كلمة الله التي سبقت في الازل انهم
اهل السعادة لا اهل الشقاوة وتلك
الكلمة بقيت بنعوتها وانوارها في قلوبهم
وكانوا احق بها لانهم سابقون بها في
الازل من غيرهم الذين حجبهم الله من
روية نورها وكانوا اهل الكلمة من حيث
الاصطفائية اذ نزلت عند لبب
التوحيد من سماء التفريد على غضاه
ورود قلوبهم فترنمت بالسنتهم الصادقة
من بطنان افئدتهم بكلمة التقديس والتوحيد
قيل كلمة التقوى كلمة المتقين وهو شهادة
ان لا اله الا الله الزمها الله السعداء
من الاولياء المومنين وكانوا احق بها
واهلها في علمه
اذ خلقهم لها وخلقها
الجنة لاهلها قبل التقوى
صيانة النفس عن المطامع
فاهلها واهل [illegible] قال الجنيد من
ادركته عناية السبق في الازل
اي عليه عيون المرحمة
وهو احق بما سبق اليه
في ذاته الاول سلام

فقال المسلمون لا نكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم فكتبها علي رضي الله عنه
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ما صالح محمد
رسول الله اهل مكة فقالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك
واسم ابيك محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لرسول الله
وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله وكان علي رضي الله عنه
قد كتب محمد رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لعلي امح قول
رسول الله واكتب مكانه محمد بن عبد الله فقال علي لا والله
لا امحوه ابدا وانت رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم
فارنيه فاراه اياه فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب
بيده المباركة ومحى رسول الله فكتب مكانه محمد بن عبد الله
وهو صلى الله عليه وسلم لم يكتب الخط فكانت هذه معجزة

معجزة صلى الله عليه وسلم

لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كتب بيده المباركة ولم يكن
يحسن الخط كذا في تاريخ الخميس ولله در القايل دع ما
ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه
واحتكم وفي تخميس هذا البيت قال الشاعر اللبيب نعم ما
قال بيت قولوا المن للبرايا شاف عيهم • بمدح ما دينهم
بعد غيهم • ان شئت اخلص مدحا في وليهم • دع ما اد

الى آخره

الى اخره وقال الاخر في تخميسه ايضا ولله دره وغفر الله
ذنبه بيت يا محسن الشعر اعدل عن مسيئهم • واصفح
اذا لم تجيد ولا في مديحهم • وان ترد زي مدح غير زيهم
دع ما ادعته النصارى الى اخره وقال البوصيري
ايضا وانسب الى ذاته ما شئت من شرف • وانسب
الى قدره ما شئت من عظم • وقال لله دره في تخميسه
فانه لم يحطه الوصف من سلف • فانسب الى حرصه ما جا
في صحف • وانسب الى فرعه ما ساد من خلف • وانسب
الى ذاته الى آخره وقيل ايضا في تخميسه • شريف ذات
وقدر كل معترف • من بحر جود سواه غير معترف فامدح
بما شئت لم تنسب الى سرف • وانسب الى ذاته
الى آخره • قال المولف هذه القصيدة الجليلة • فان فضل
رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم وقيل
في تخميسه بيت البحر لو من مداد مد جدوله • والخلق
تنقل بالاقلام جملة • غدت نفادا ولا تحصى فضايله
فان فضل رسول الله الى اخره • وقال المخمس ايضا و
لله دره • كل من الرسل رب العرش فضله • بمنحة من عطاياه
واهله • وان يكن حد مجلى ذاك الفضل جمله • فان فضل
رسول الله الى آخره وقعت هذه المقالات في هذا المحل على
شان النبي صلى الله عليه وسلم

ولله در القايل في تخميسه
كم قد تجاوز صفحا عن مسيئهم
والكف منه فكم حادث بريهم
وليس منه ذا الورى الا بريهم
دع ما ادعته النصارى
في مدحه المعجز الخارق وليس تفي
بمدح من مادحه المملوء الصحف
واخطب بذلك حور العين في غرف
وانسب الى ذاته الخ

سبحان من رحمة للخلق ارسله
والمحبة والتقريب اهله
وجملة الفضل اتاه وحمله
فان فضل رسول الله ليس له حد
فيعرب عنه ناطق بفم

سبيل الاستطراد ولنعود الى ما نحن فيها وكل شرط شرطوا قريش
يوم الحديبية فقبله النبي صلى الله عليه وسلم واصطلحوا على وضع
الحرب عنه الناس عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم
عن بعض على انه من اتى محمدًا من قريش بغير اذن وليه رده
عليه وان كان مسلما ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه
عليه فقبله النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشرط فتعجب المسلمون من
هذا الشرط فقالوا سبحان الله كيف نرد اليهم من اتانا
مسلما وقالوا يا رسول الله اتقبل هذا الشرط قال نعم انه
من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل
الله له فرجا ومخرجا ومن اعرض عنا وذهب اليهم فليس منا
منه بشيء بل هو اولى بهم فهم المؤمنون بذلك الشرط وقصدوا
ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة اي الطمأنينة
عليهم فتوقروا وتثبتوا والزمهم كلمة التقوى
كلمة ناشئة من تقوى قلوبهم وهي كلمة التوحيد او كلمة
اي الكافرون عنها وهي كلمة بسم الله او محمد رسول الله و
كانوا احق بها واهلها اي ما الزمهم الله تعالى هذه الكلمة
قسرا والجاء عليهم من غير سابقة استحقاق لهم بها كما
للمنافقين الذين كانوا يلازمون هذه الكلمة ويقولونها
بافواههم ولم يكن ذكر في قلوبهم بل كانوا في علم الله مستحقين بهذه

الكلمة

وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق
لها على ان صيغة التفضيل لزيادة
مطلقا وقيل احق بها من الكفار
الوسعود

وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله
وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي
دفن مصحفه ايام الحجاج
كشاف

اي انه
وحده
مخالف
لمصحف الامام
كشف

وكان من كبار تابعي
الكوفة وثقاتهم روى
عن ابن مسعود ومات في اواخر
ايام ابن الزبير كشف

الطيبة ومستاهلين لها لكون اصلها ثابتة في ارض قلوبهم
وفرعها في سماء نفوسهم وقال الامام ابو المعالي في تفسيره
وفي الكلمة خمسة اقوال احدها لا اله الا الله قاله ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي
وابن زيد وقد روي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فعلى هذا يكون معنى الزمهم حكم لهم بها وهي التي تنفي الشرك
والثاني لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير قاله عطاء بن ابي رباح والثالث
لا اله الا الله والله اكبر قاله ابن عمر والرابع لا اله الا
الله محمد رسول الله قاله عطاء الخراساني والخامس
بسم الله الرحمن الرحيم قاله الزهري فعلى هذا يكون
المعنى انه لما ابى المشركون ان يكتبوا هذا في كتاب الصلح
الزمه الله المؤمنين وكانوا احق بها من المشركين وكانوا
اهلها في علم الله تعالى واضافة الكلمة الى التقوى لانها سبب
التقوى او اساسها او كلمة اهلها فان قيل ما فائدة قوله
فيكون الاضافة في كلا الاخيرين على اضمار المضاف
واهلها بعد قوله وكانوا احق بها الجواب الضمير في بها
لكلمة التوحيد وفي اهلها للتقوى فلا تكرار فيه وكان
الله بكل شيء عليما فيعطي كل ذي حق حقه بمقتضى علمه
الشامل ولا يعطي الا ما يسأله القابل بلسان الاستعداد

ومن كتب بسم الله الرحمن الرحيم وجودها
اعظاما لها كتب مغفورا له من الثقلين

وروي ان الشيخ ابا بكر السراج
اجتمع ببعض الصالحين واشاروا
اليه ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم
ستمائة وخمسة وعشرين مرة
وذكروا ان من حمل ذلك رفعه كساه
الله هيبة عظيمة ولا يقدر احد
ان يناله بسوء باذن الله تعالى
من فوائد المكية

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام قبل خروجه الى الحديبية راى
في منامه ان قايلا يقول لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين
محلقين روسكم ومقصرين لا تخافون او راى صلى الله عليه وسلم
في منامه كانه هو واصحابه يدخلون مكة وقد حلقوا وقصروا
روسهم فقص رسول الله صلعم هذه الرويا على اصحابه ففرحوا و
استبشروا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تاخر ذلك
قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزل قوله
تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا اي صدقه عليه السلام
في رؤياه بان اراه رؤيا صادقة والرؤيا كالرؤية غير انها
مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى
وحقيقتها انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس
المشترك والصادقة منها ما يكون باتصال النفس بالملكوت
الاعلى وذلك ان جميع الامور الكائنة في العالم مما كان او سيكون
مرتسمة بالمبادي العالية والملا الاعلى اعني العقول المجردة و
النفوس السماوية والنفوس الناطقة الانسانية ان تتصل
بتلك المبادي وتنتقش بالصور المرتسمة فيها الا ان اشتغالها
بتدبير البدن يمنع الاتصال بتلك المبادي اللهم الا لبعض النفوس
القوية القادرة على استخلاص الحس المشترك عن تعلقات الحواس الظاهرة

قوله صدقه في روياه يعني حذف الجار والايصال سعدي
كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا عليه
كذا في

فان لمثل

فان لمثل هذه النفوس القوية يمكن ان يتصل حال اليقظة بالمبادي
العالية ويدرك ما ارتسم فيها من المغيبات كما للانبياء
والاولياء واما حالة النوم فيرتفع المانع فيها بالكلية ويتصل
النفس بالعالم العقلي ويدرك ما فيها من الامور المرتسمة على وجه
كلي بما هو اليق بتلك النفس وباحوالها ويقرب منها من الاهل
والولد والاقاليم فتحاكي المتخيلة هذه المعاني الكلية بصور جزئية
مناسبة كمحاكاتها الخير والفضايل بصور جميلة والشرور و
الرذايل باضدادها ثم ينزل منها الى الحس المشترك فان لم يكن
هناك فرق الا بالكلية والجزئية فالرؤيا لا تحتاج الى التعبير
والا احتاج اليه واما الكاذبة منها فسببها ان النفس
اذا احست بتوسط الالات تصور جزئية وبقيت مخزونة
في الخيال فعند النوم ترتسم في الحس المشترك اولان النفس
اخترعت صورة والقتها المتخيلة فعند النوم تنتقل منها الى
الخيال ومنه الى الحس المشترك كما ان الانسان اذا تفكر في
الانتقال من موضع الى موضع او رجى شيئا او خاف من شيء
فانه يرى تلك الامور في النوم او لان مزاج الدماغ يصير متغيرا
فمرة مال مزاجه الى الحر فيرى النيران ومرة مال الى البرودة فيرى
الثلوج والمنامات التي يكون سببها احد هذه الامور الثلثة
كاذبة لا عبرة بها بل هي اضغاث احلام وما كانا بتاويل الاحلام

ج

وله در القايل

يا منكر الوحي من رؤياه اوله
اجنة بك سحر ذاك او وله
اما ترى الحبر بالناموس اوله
لا تنكر الوحي من رؤياه ان له
قلبا اذا نامت العينان لم ينم

حقا عليه كلام الله انزله
وفوق كل البرايا شاد منزله
ورحمة لجميع الخلق ارسله
لا تنكر الوحي من رؤياه ان له
قلبا اذا نامت العينان لم ينم

رؤياه للوحي رب العرش اهله
لها وعلاه مقدارا وفضله
فقل لمن شك في هذا وعلله
لا تنكر الوحي من رؤياه ان له
قلبا اذا نامت العينان لم ينم

بعالمين ومنامات الانبياء لا تكون الا صدقا وحقا
كما قال لك بالحق اى صدقا ملتبسا بالحق وهو الحكمة
(حال من الرؤيا)
والمصلحة الكاملة كتميز الراسخ فى الايمان عن المتزلزل فيه
فعلى هذا بالحق صفة لمصدر محذوف ويجوز ان يكون حالا
من الرؤيا اى حال كونها ملتبسة بالحق غير كائنة من قبيل
اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون قسما بالحق على ان يكون
من الاسماء الحسنى او بمعنى نقيض الباطل فعلى الاولين قوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام جواب قسم محذوف اى والله لتدخلن
وعلى الثالث جواب للقسم المذكور اعنى بالحق قال ابو البقا
ولتدخلن تفسير للرؤيا او مستانف اى والله لتدخلن
فجعل كونه جواب قسم قسما للرؤيا وهذا لا يصح البتة
وهو ان يكون تفسيرا للرؤيا غير جواب لقسم الا ان يريد
انه جواب قسم لكنه يجوز ان يكون مع القسم تفسيرا
وان يكون مستانفا غير تفسير وهذا بعيد من عبارته
يعنى والله لتدخلن ايها المؤمنون المسجد الحرام فى العام
الثانى ان شاء الله ان تعليق للدخول بالمشية
اشعارا بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او
غير ذلك واما تعليق للوعيد بالدخول بالمشية تعليما
للعباد كيلا يقول احدهم انى فاعل ذلك غدا الا ان شاء

الله

الله او حكاية لما قاله ملك الرؤيا واسمه صدقون او لما قاله
عليه السلام لاصحابه قال الامام ابو المعالى وفى الاستثناء
ستة اقوال احدها ان ان بمعنى اذ قاله ابو عبيدة
وابن قتيبة كقوله ان كنتم مؤمنين وان اردن تحصنا
والثانى انه استثناء من الله تعالى وقد علمه والخلق
يستثنون فيما لا يعلمون قاله ثعلب فعلى هذا يكون
المعنى انه علم انهم سيدخلون ولكنه استثنى على ما
امر الخلق به من الاستثناء والثالث ان الله المعنى
لتدخلن المسجد الحرام ان امركم الله به قاله الزجاج
والرابع ان الاستثناء يعود الى دخول بعضهم او جميعهم
لانه علم ان بعضهم يموت حكاه الماوردى والخامس
انه على وجه الحكاية لما راه فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان قائلا يقول له لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
حكاه ابو يعلى والسادس انه يعود الى الامن والخوف
لا الى الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقوله
صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء الله
بكم لاحقون فالاستثناء لا ضع واقع على الخوف
دون الموت حكاه الثعلبى قال ابن عادل قوله ان شاء
الله فيه وجوه احدها انه ذكره تعليما للعباد الادب

اشارة الاية منع المشتاق قلبه الى مشاهدة
الحق بانهم يدخلون حرم الربوبية
آمنين عن حرمان العبودية عليهم
آمنين من زوال الحجاب بعد كشف النقاب
والاستثناء وقع على المشية الازلية
السابقة بحسن العناية لهم وفى
نفس الاية لو يريد ان يلبسهم وصف
الصمدية حتى لا يفنوا فى الوحدانية بالقدر
وهو هكذا يفعل لكن رمز الاستثناء
يورث هيبة الحق اذا صار عروس
القدم غير منكشف لاهل الحدث
ادب الجمهور برؤية الله مع رؤية
القدر السابق حتى لا يسقط عنهم
شروط الهيبة والمراقبة سئل سهل
بن عبد الله ما هذا الاستثناء من الله
قال تاكيدا فى الافتقار اليه وتاديبا
لعباده فى كل حال ووقت وتنبيها
على ان الحق اذا استثنى مع كمال علمه
ان احدا لا يجوز له الحكم من غير استثناء
من قصور علمه منه

كقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله الثاني ان الدخول لما وقع عام الحديبية وكان
المؤمنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن
ولكن لا بجلادتكم ولا بارادتكم وانما تدخلن بمشيئة الله
الثالث ان الله تعالى لما قال في الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
لتدخلن ذكر انه بمشيئة الله لان ذلك من الله وعد
وليس عليه دين لا صح واجب لان من وعد بشيء
لا يحققه الا بمشيئة الله تعالى والا فلا يلزمه به احد قال
محيي السنة الامام البغوي في تفسيره المسمى بمعالم
معناه لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه حكاية عن رؤياه فاخبر الله عن رسوله انه قال
ذلك وانما استثنى مع علمه بدخولها باخبار الله تعالى
تادبا بادب الله تعالى حيث قال ولا تقولن لشيء الخ
قال الحسين بن الفضل يجوز ان يكون الاستثناء من الدخول
لان بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات في السنة ناس
كثير فمجاز الاية لتدخلن المسجد الحرام كلكم ان شاء الله
وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول
لم يكن فيه شك كما ذكر في اول الصحيفة ولتدخلن اصله
لتدخلون الا انه لما دخلت نون التاكيد حذفت النون
التي هي نون الاعراب وعلامة الرفع البنا لدخولها

على الفعل

على الفعل لانها لما دخلت عليه اكدت فيه الفعلية فردته
الى اصله وهي البناء وحذفت الواو لسكونها
وسكون النون الاولى من النون المشددة آمنين
حال من فاعل لتدخلن ولا يقدح فيه تخلل الشرطية بينهما لكونها
معترضة يعني منصوب على الحال من الضمير المحذوف في لتدخلن
محلقين رءوسكم بعضكم ومقصرين بعضكم الآخر
وقوله تعالى محلقين ان جعل حالا من فاعل لتدخلن او آمنين
او محلقين او مقصرين فيكون متداخلة قال ابن عادل
قوله محلقين رءوسكم ومقصرين اشارة الى انكم تتمون الحج
من اوله الى آخره فقوله لتدخلن اشارة الى الاول وقوله
محلقين اشارة الى الآخر فان قيل محلقين حال الداخلين
والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا فالجواب
انه قوله آمنين معناه متمكنين من ان تتموا الحج محلقين
قوله تعالى لا تخافون اما مستانفة اي لا تخافون بعد ذلك
وهذا بعينه كما يقال قدم فلان من سفره فاكرمته والبسته
واعطيته دراهم ودنانير وبعد ذلك استقبلته ولاقيته
على فرسخ فقولك بعد ذلك معناه اذا بعد ذكر ما سبق اني
استقبلته الخ قال ابن عادل قوله لا تخافون يجوز ان يكون
مستانفا وان يكون حالا ثالثة وان يكون حالا اما من فاعل

لتدخلن او من ضمير امنين او محلقين او مقصرين فان كانت
حالا من امنين او حالا من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد
وآمنين حال مقارنة وما بعدها حال مقدرة الا قوله لا تخافون
اذا جعل حالا فانها مقارنة ايضا فان قيل قوله لا تخافون
بمعناه غير خائفين وذلك حصل بقوله امنين في الفايدة
في اعادته فالجواب ان فيه كمال الامن لان بعد الحلق
يخرج الانسان عن الاحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند
اهل مكة يحرم قتال من احرم ومن دخل الحرم فقال تدخلون
امنين وتحلقون وتبقى امنكم بعد خروجكم عن الاحرام فعلم
ما لم تعلموا عطف على القصة السابقة اعني صدق الله
والتعقيب في مجرد الذكر او على اعتبار الحكم والاخبار فالتعليل
حين ان جعل ما في قوله ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تاخير فتح
مكة الى العام القابل كما صح اليه الجمهور رجا ياباه الفاء فان علمه
تعالى بذلك متقدم على ارادة الرؤيا قطعا انتهى ثم قيل المراد بعلمه تعالى
العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي علم عقيب
ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم
ما يشهد بالصدق اعني الفتح القريب علما فعليا انتهى ورد
عليه انه لا فرق بين الحكمتين في ان كلا منهما في انه تعالى يعلم كلا منهما
قبل حدوثهما ايضا بانه سيحدث فانه يعلم الحوادث قبل وجودها

بانها يحدث

بانها يحدث ووقت حدوثها بانها حدث حدوثا به فالحكم بتقدم
علمه تعالى على ارادة الرؤيا قطعا تحكم فالحق ما عليه الجمهور ومنع التقديم
من قوة الخطاء كما هو المشهور قال ابن عادل قوله فعلم الله
ما لم تعلموا في المصلحة وان الصلاح كان في الصلح وان دخولكم
في سنتكم سبب لوطي المؤمنين والمؤمنات وهو قوله تعالى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الخ فان قلت
المراد علم المصلحة فالجواب علم الوقوع والشهادة لا
علم الغيب والتقدير لما حصلت المصلحة في العام القابل
فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل لاجل علمه ما لم تعلموا
والفاء سببية من دون ذلك المذكور من تحقق مصداق
رؤياه من دخول المسجد الحرام آمنين او فتح مكة فتحا قريبا
من غير تسويف ليكون اية شاهدة على صدق الرؤيا كما قال ولتكون
اية للمؤمنين والمراد بالفتح القريب فتح قلاع خيبر وبجعله ابداعه واخراجه
من العدم الى الوجود لان جعل بسيط لكونه ذا مفعول واحد وقيل
المراد بجعله وعده بذلك وانجاز ذلك الوعد ولا يخفى انه بعيد
وجعلي يجيء من جعل الظلمات والنور والظل والحرور قال ابو
المعالي المراد من هذا الفتح قولان احدهما فتح خيبر قاله عطاء ومجاهد
والزهري وابن اسحق زيد ومقاتل الثاني صلح الحديبية قاله
مجاهد والزهري وابن اسحق وقيل فتح مكة قاله الضحاك وقد

ليسكنوا و يطمئنوا اليه قلوب المؤمنين
الى ان يتيسر الموعود صح

قال اهل التحقيق ارسل الرسول عظم
حرمته باضافته الى نفسه فمن لم
يعظم فقد عظمه الله فهو قليل المعرفة
وجعل الله طاعته طاعته سلمه
ومنه در القايل

سناحق النصر مذ لاحت بطلعته
ودقت طبول الهنا بشرى لملته
ومذ علت في الورى اعلام دولته
راعت قلوب العدى انبا بعثته
كنبأة اجفلت غفلا من الغنم
قد فاز قوم اجابوا عند دعوته
طوعا وقاموا الى الهيجا بنصرته
وحين ارسل يدعوهم لملته
راعت قلوب العدى انبا بعثته
كنبأة اجفلت غفلا من الغنم
سدنا به وتملينا بملته
والانس والجن قد نلنا بطلعته
ومذ امنا بتصديق لدعوته
راعت قلوب العدى انبا بعثته
كنبأة اجفلت غفلا من الغنم

بينا كيف كان فتحا في اول السورة هو الذي ارسل
رسوله جملة مستانفة سيقت لتطييب خواطر المسلمين
بانه ارسل اليهم رسول لا يضل من اتبعه ولا يطغى وانه
سيفتح لهم مشارق الارض ومغاربها ويورثهم الارض يتبوون
منها حيث يشاؤن مع ما فيه من فضل تاكيد للفتح الموعود بالهدى
اما حال من المفعول اي ارسولا ملتبسا بالهدى بمعنى كونه مهتديا
في نفسه او بمعنى كونه هاديا لمن ارسل اليهم الثاني ابلغ والبا
سببية اي بسبب كونه مهتديا او هاديا اوله لاجل ان يهدي
الناس الى صراط مستقيم كما قال الله تعالى وانك لتهدي الى صراط
مستقيم قال ابن عادل وهذا تاكيد لبيان صدق الله في الرؤيا
لانه لما كان مرسلا لرسوله ليهدي لا يريه ما لا يكون فيحدث
الناس فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال ويحتمل ان الرؤيا
الموافقة للواقع قد يقع لغير المرسل لكن ذلك قليل لا يقع لكل
احد فقال تعالى هو الذي ارسل الخ وحكى له ما سيكون في اليقظة
فلا يبعد ان يريه في المنام ما سيقع ولا استبعاد في صدق
رؤياه وفيها بيان وقوع الفتح ودخول مكة والهدى
يحتمل ان يكون هو القران لقوله تعالى انزل فيه القران هدى للناس
وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل ان يكون
الهدى المعجزة اي ارسله بالمعجزة فيكون قوله ودين الحق اشارة

الواضح
كان صلعم بنفسه ابلغ الهداية
للحق لانه صار رفا باية وبرهانه
قال الله تعالى ولتكون اية للمؤمنين
وعد نور الصفة لانه كان فيه
مشكاة نور القران قال الله
تشتمل نوره كمشكاة وقال نزله
على قلبك وبهذه الصفة يتم
اتماده اليه بهذه الاوصاف
وانتظار اليه شهادة فقال
وكفى بالله شهيدا
منه

الى ما شرع ويحتمل ان يكون الهدى هو الاصول ودين الحق
هو الاحكام والالف واللام في الهدى يحتمل ان يكون للعهد وهو
قوله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وان تكون للتعريف اي
كل ما هو هدى ودين الحق عرفوا الدين بانه وضع الهي
سايق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى الخير بالذات
والمراد بالوضع ما يكون بجعل الجاعل واعتبار المعتبر فيخرج
التوحيد والتنزيه وقيد الالهي ليخرج به التخصيص الصناعي
وغيرها كشرع الشياطين للكفار والمنافقين فان قلت
اما ان يراد بالوضع الالهي الكتاب والسنة المشتملة على القول
والعمل وذلك لا يلايم ما ذكروا ان الشرع هو الدين ثم فسروه
بما بينها الشارع واظهرها واما ان يراد المسايل الاصولية
والفروعية او الاعتقادات والاعمال وعلى التقديرين
ان فتح الكلام في الفروع باعتبار ان يراد بالالهي المنسوب
الى الكتاب والسنة بوجه ما وذلك لان العمل بالمجتهدات
الفروعية صحيحة نافعة في الاخرة صوابا كانت او خطاء لكنه
لا يصح في الاصول لان خطاء الخصم المبتدع من المعتزلة وغيرهم
جزء من علم الكلام الذي هو اصول الدين فلا يكون سايقا الى
الخير بالذات فان الخطاء في الاعتقاد ليس بنافع في الاخرة
قلنا علم الكلام ما يتعلق بالاعتقادات المنسوبة الى الدين

وفي غرايب القران الدين يكون على
وجوه منها الدين الذي يتدين به
الرجل من اسلام وغيره والدين
الطاعة والدين العادة والدين
الجزاء والدين الحساب والدين السلطان
منه

ولله در ناظم ما قال

ركن العناية بالايمان خولنا
وبالهدى عن ضلال الشرك حولنا
وفي حمى دين حامي الجار انزلنا
بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا
من العناية ركنا غير منهدم
في ظل جاهك رب العرش انزلنا
لكي تذود الردى عنا وتعدلنا
ولم تزل عند ضيق الامر موئلنا
بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا
من العناية ركنا غير منهدم
وعندما نابك البارى وخولنا
ازلت عنا بهذا الدين كل عنا
طوبى لنا قد بلغنا منك كل منى
بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا
من العناية ركنا غير منهدم

ولو بحسب الزعم الباطل كلفظ الدين ما يكون صفة غاية الامر ان كل طايفة من اهل الاختلاف يزعم ان طريقهم هي الدين فكل حزب بما لديهم فرحون ويمكن ان تعم السوق بحيث يتناول ما بحسب الزعم ولذا يوصف الدين بالحق والباطل فتأمل وبعد سابق بخرج ما ليس بسابق من الاوضاع الالهية كتخصصه تعالى انبات الزرع والاشجار ببعض الامكنة والازمنة وبعد ذوي العقول يخرج الاوضاع الالهية السابقة للحيوانات الى افعالها المختصة بها بالاختيار وبعد باختيارهم يخرج الوجدانيات السابقة اصحابها الى غاياتها وفيه اشارة الى ثبوت الاختيار في الفعل والترك ليكون عبادة يترتب عليها الثواب او معصية يترتب عليها العقاب وبعد المحمود يخرج الكفر فانه وضع الهي عند من يقول بخلق الافعال العباد الا ان سوقه لذوي العقول بسوء اختيارهم والخير هو الثواب وقيد بالذات اما متعلق بسابق لان الوضع الالهي انما هو للسوق فيكون لذاته واما متعلق بالخير والمراد به السعادة الابدية لا خيريتها اعني كونه امرا مناسبا مؤثرا من حيث انه مؤثر انما هو لذاته لا يتوسط شيء وقد يطلق الدين على الاوضاع الباطلة بالاشتراك كقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله لكم دينكم ولي دين واما اطلاقه على الاوضاع الحقة فبالاشتراك المعنوي المشكك دون التواطي

ابطال احمد نالوا فوق مطلبهم
في دينهم واراهم عين مكسبهم
ولم يزل فيه يجلى ورد مشربهم
حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم
ففي الجهاد استطابوا ورد مشربهم
وجاهدوا لرضاه لا لكسبهم
ولم يزل دينهم يسمو بمنصبهم
حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم
عن ملة الدين كفوا كف حزبهم
موصولة رجا راحت بموكبهم
بالمال والنفس جادوا في تقربهم
حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم

كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ويجوز ان يكون في الكل مشتركا معنويا بان يراد ما يتعبد به ويعتقد حقا او باطلا فعلم من هذا التفصيل فايدة اضافة الدين الى الحق فان الدين عند الله الاسلام قال ابن عادل قوله تعالى ودين الحق يحتمل ان يكون المراد دين الله لان الحق من اسماء الله تعالى ويحتمل ان يكون الحق نقيض الباطل فكانه قال ودين الامر الحق ويحتمل ان يكون المراد الانقياد للحق ليظهره اي ليغلبه على جنس الدين كله بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بتسليط اهل الاسلام على اهل ساير الاديان المختلفة باختلاف الادوار واختلاف الاستعدادات او باظهار بطلان ما كان باطلا منها الظهور بضم الظاء الغلبة يقال ظهر الشيء تبين وظهر على فلان غلبه واظهر الشيء بينه وفيه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين النفوس المؤمنين على انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم وكفى بالله شهيدا بينك وبينهم او على ان ما وعده محقق لا شبهة فيه او على مضمون قوله تعالى محمد رسول الله على ان يكون مبتدا وخبرا ويكون الجملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون محمد خبر مبتدا محذوف ورسول الله بدلا او بيانا او نعتا فالمعنى ذلك الرسول الذي ارسله بالهدى ودين الحق

وفيه تسلية قلب المؤمنين فانهم تاذوا من رد الكفار عليهم العهد المكتوب وقالوا لا نعلم انه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا محمد بن عبد الله فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا على انه رسول الله

سعد

قوله المشهود به يبنيه على الاحتمال الثاني

المشهود به اي هو محمد رسول الله وكونه مشهودا به باعتبار الصفة منه

وقوله بيانا او نعتا ... كفاك ... على اصطلاح ...

الاول ... المشهود على ...

محمد رسول فائدة الاتباع بوصف رسول الله مع كونه معلوما
من جعله خبر مبتدا محذوف تعظيم لشان المضاف وايذان
بان هذا الوصف صار سمة لازمة له صلى الله عليه وسلم لا ينفك
بوجه من الوجوه كما قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا و
ادم بين الماء والطين وقراء الشعبي وابو رجاء وابو المتوكل
والجحدري محمدا رسول الله بالنصب فيهما على المدح او محمدا مفعول
كفى ورسول الله صفته اى كفى بالله شهيدا محمدا اى مصدقا
له وشهادته له بان ما جاء به حق ويجوز ان يكون نصبا
على اتبعوا رسول الله والذين معه شروع في مدح الاتباع
بعد بيان المتبوع زيادة في تطييب قلوبهم وفيه ايذان ايضا
بان اتصافهم بهذه المناقب انما هو ببركة صحبته عليه السلام
كما يفيده لفظة معه ثم ان الموصول مع صلته وخبره قوله
اشداء على الكفار يغلظون عليهم ويظهرون العزة
والشدة عليهم كانه والذين معه جميعهم اشداء على الكفار
بالغلظة لا يرحمونهم انهم اعداء الله رحماء بينهم ولمن وافقهم
في الدين الرحمة والرافة لان وصف الشدة والرحمة وجد
في جميعهم واما في المؤمنين فقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
واما في حق النبي عليه السلام فقوله تعالى واغلظ عليهم وقال في حقه
للمؤمنين رؤف رحيم قوله رحماء بينهم اى يخفضون جناح الذل

بعضهم

وصف اصحاب رسول الله صلعم واحبابه
ومتابعيه الى يوم القيمة بخصوصات
شريفة واخلاق كريمة وعلامات صحيحة
واداب جميلة بقوله والذين معه في الازل
باصطفائية الولاية معه الارواح لا
معه الاشباح ومن خاصية صفتهم
انهم اهل الهيبة والغلبة على اعداء الله
والرحمة والكرم مع اولياء الله بقوله تعالى
اشداء على الكفار

بعضهم لبعض لما الف الله بين قلوبهم وفي الاية الكريمة
جمع بين معنيين غير متقابلين لكن يتعلق احدهما بما يقابل
الاخر نوع تعلق فان الرحمة وان لم يكن مقابلة للشدة
لكنها مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة وقد عد مثل هذا
من فروع صيغة التضاد قال ابو المعالي والذين معه يعني اصحابه
والواو فيه واو الاستيناف والذين في محل الرفع بالابتداء
قوله اشداء جمع شديد قال الزجاج الاصل اشدداء ولكن
الدالين تحركتا فادغمت الاولى في الثانية ومثله من يرتد منكم
والمعنى انهم يغلظون على الكفار كالاسد على فريسته
رحماء بينهم اى متوادين بعضهم لبعض كالوالد لولده والسيد
لعبده كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ
اشداء ورحماء بالنصب اما على الحالية من فاعل الظرف
اعني معه لوقوعه صلة او على المدح وقيل رحماء بينهم يعني
المتحابون في الله بينهم اى ان المؤمنين كانوا يتحرزون من ثيابهم
ان يلزق ثيابهم فكيف بابدانهم وبلغ من رحمهم فيما بينهم انه
كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة جائزة
بالاتفاق واما المعانقة والتقبيل فقد كرههما ابو حنيفة
وان كان التقبيل على اليد فقال الامام النووي ان كان التقبيل

لزهده وصلاحه وعلمه وشرفه وصيانته وكبر سنه ونحو
ذلك من الامور الدينية لم يكره بل يستحب وان كان التقبيل
لغناه ودنياه وثروته وشوكته ووجاهته عند اهل الدنيا
فمكروه شديد الكراهة كما قال النبي المكرم صلى الله عليه وسلم من
تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه ومن حق المؤمنين ان يراعي
السنة ويجتنب عن البدعة كما فعلها السفهاء فيرجوا اهل
دينهم تراهم خطاب لمن له اهلية للخطاب ركعا سجدا تبصرهم
وتشاهدهم حال كونهم مواظبين على الصلوات معدلين اركانها
بحيث يتم كل من الركوع والسجود وساير الاركان بعضها من بعض
لا انعوات الديك كما يفعله المتهاونون وعلى الاول هذا خبر اخر
او استيناف قوله حالان لان الرؤية بصرية وهو وصف
لكثرة صلاتهم يبتغون فالظاهر انه حال من مفعول تراهم اي
تراهم في حال استغالهم بتدبير معاشهم وكسبهم القدر الواجب
عليهم من نفقتهم ونفقة من تحت ميهم انهم يصلون على احسن الكون
والحاصل تراهم ان اشتغالهم بتحصيل وجوه معاشهم لا يعوقهم
ولا يشغلهم عن اقامة الصلوات وساير العبادات لاكتفائهم
على القدر الصالح من وجه المعاش وقناعتهم ما يسد الرمق وعدم
تهالكهم في طلب الدنيا لكون رضاء الله تعالى عندهم هو المطلب الاعلى
ويجوز ان يكون حالا من المستتر في ركعا سجدا او جملة مستانفة وفائدته

ثم زاد في وصفهم بقوله تراهم ركعا
سجدا اي راكعين على بساط العبودية
من رؤية انوار العظمة ساجدين على
بساط الحرمة من رؤية الجلال والجمال
يطلبون مزيد كشف الذات والدنو
والوصال والبقاء مع بقائه بغير العتاب
والحجاب وهذا محل الرضوان الاكبر
بقوله يبتغون فضلا من الله ورضوانا
منه

على التقدير

على التقدير سر هو انهم انما يواظبون على الصلوة لانهم يبتغون
ثوابا من الله ورضاء لا لكالمنافقين الذين اذا قاموا الى
الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يريدون فرحهم
قال ابن عادل قوله يبتغون حال من الضمير في سجدا ويجوز ان
يكون مستانفا واذا كانت حالا فيجوز ان يكون حالا ثالثة
من مفعول تراهم وان يكون من الضمير المستتر في ركعا وسجدا
وجوز ابو البقا ان يكون سجدا حالا من الضمير في ركعا حالا
مقدرة فعلى هذا يكون يبتغون حالا من الضمير في سجدا فيكون
حالا من حال وتلك الحال الاول حال من حال اخرى
اي حال كونهم يطلبون فضلا من الله اي ثوابا بالعفو
عن تقصيرهم والفضل من الله الجنة ورضوانا وهو رضي
الله عنهم وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور وروي عن الحسن
البصري انه قال الذين معه ابو بكر اشداء على الكفار عمر رحماء
بينهم عثمان ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون
فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد
وسعيد وابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وقرء عمرو بن عبيد
رضوانا بضم الراء قال شهاب الدين وهذه قراءة متواترة
قراها عاصم وفي رواية ابي بكر عنه وهذه الكنايات تمييز
لركوع المؤمنين وسجودهم عن ركوع الكافر وسجوده وركوع

الكافر وسجوده وسجود المرائي وركوعه فانه لا ينبغي به
ذلك سيماهم والسيما فعلى من سام الابل اذا ارسلها
في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه والمراد
علامتهم التي يعرفون بها كبياض الوجه وتلالؤه في وجوههم
اي في جباههم من اثر السجود اي استنارة وجوههم
وظهور اثر الخوف والخشية في ظاهرهم من طول ما صلوا اناء
الليل واطراف النهار خاضعين خاشعين قوله من اثر السجود
حال من المستكن في الجار اي من التاثير الذي يؤثره كثرة السجود
وقيل هي صفرة الوجه بلا آفة او غلظة جلد الجبهة التي
يحدث من وضعها على الارض من غير رياء او في الاخرة
فالاثر نور وبياض يعرفون به فيها فان قيل هل هذه العلامة
في الدنيا او في الاخرة ففيه قولان احدهما في الدنيا ثم فيها
ثلثة اقوال احدها انها السمت الحسن قاله ابن عباس في
رواية ابن ابي طلحة وقال في رواية مجاهد اما انه ليس
بالذي ترون ولكنه سيما الاسلام وسمته وخشوعه
وكذلك قال مجاهد والثاني انه ندى الطهور وثرى الارض
قاله سعيد بن جبير وقال ابو العالية لانهم يسجدون على التراب
لا على الاثواب وقال الاوزاعي بلغني انه ما حملت جباههم
من الارض والثالث انه الصفرة في الوجه واثر السهر

ثم وصف وجوههم بان يتلالأ انوار
مشاهدته التي انكشفت لهم في السجود
حين خضعوا في ملكوته من رؤية عظائم
جبروته بقوله سيماهم في وجوههم من
اثر السجود
منه

وتحسبهم

وتحسبهم مرضى وما هم بمرضى روي عن الحسن وسعيد بن جبير
وقال سفيان الثوري يصلون بالليل فاذا اصبحوا رأى
ذلك في وجوههم بيانه قوله عليه السلام من كثرت صلاته
بالليل حسن وجهه بالنهار والقول الثاني انه في الاخرة
ثم فيها قولان احدهما ان مواضع السجود من وجوههم يكون
اشد بياضا يوم القيمة يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا
في الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال عطاء ابن ابي
رباح والربيع بن انس والزهري وقال شهر بن حوشب
يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر
وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ
على الصلوات الخمس الثاني انهم يبعثون غرا محجلين من اثر
الطهور ذكره الزجاج وروي عن الاعرج انه قرأ
من اثر بكسر الهمزة واسكان الثاء فهذه مثلها
قراءة الجماعة لان الاثر والاثر لغتان وحكي عن عيسى
بن سليمان انه حكي عن بعض القراء من اثار السجود على الجمع
وقيل المراد سيماهم نور وبياض في وجوههم يوم القيمة
كما قال الله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه المعنى ان السجود
اورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به قال بعض
المحققين والسر فيه ان العلاقة ثابتة بين عالمي الملك والملكوت

فيباشر كل منهما حكما في الاخر فكما يفيض من طهارة الظاهر اثر على
الباطن فان من توضأ او اغتسل من الجنابة فانه يجد في نفسه
انشراح صدر وخفة حال لا يجده قبله واليه الاشارة بان الوضوء
نور على نور فكذلك يفيض من معارف القلب ومساعيه على الظاهر
فيباشر كل من الظاهر والباطن في الاخر حسب ما يقتضيه فيعرف
كل من المطيعين والمجرمين بسيماهم او المعنى سمتهم في جباههم
من التأثر الذي يؤثره كثرة السجود خالصا لوجه الله واما الاعتقاد
بالجبهة على الارض ليتحدث فيه تلك السمة فذلك محض رياء ونفاق
ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه بقوله لا تقلبوا صدوركم
اي لا تسموها ذلك اي المذكور من نعوتهم الجليلة البعيدة
المرتبة والمنزلة على ما يفيده ما فيه من معنى البعد من قرب المشار اليه
يعني هذا الذي ذكر من نعتهم وصفتهم وهو مبتدأ خبره مثلهم
اي قصتهم العجيبة الشأن الجارية مجرى الامثال في الغرابة حال كونه
مسطورا في التورية فهو حال من مثلهم باعتبار معنى الاشارة
ومثلهم في الانجيل وتكرير مثلهم اما لتاكيد الغرابة وزيادة
تقريرها فيه وجهان احدهما انه مبتدأ وخبره كزرع فيوقف
على قوله في التورية والثاني انه معطوف على مثلهم الاول
فيكون مثلا واحدا كانه قيل ذلك مثلهم في التورية والانجيل
وقيل فيه ثلثة اقوال احدها ان هذا المثل المذكور انه في التورية

هو مثلهم

هو مثلهم في الانجيل قاله مجاهد مثلهم في التورية والانجيل واحد
والثاني ان المتقدم سيماهم في وجوههم مثلهم في التورية فاما
مثلهم في الانجيل فهو كزرع اخرج شطأه وهذا قول الضحاك
وابن زيد والثالث ان مثلهم في التورية والانجيل كزرع
ذكر هذه الاقوال ابو سليمان والقولين الاولين الماوردي
كزرع اخرج شطأه قال بعض الافاضل والمعنى ذلك مثلهم في التورية
والانجيل واما اذا قلنا ان الكلام قد تم عند قوله ذلك مثلهم في التورية فعلى
هذا قوله كزرع اخرج شطأه خبر قوله ومثلهم في الانجيل ويؤيده
ما يقال انه مكتوب في الانجيل سيخرج قوم فينبتون نبات
الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واما على الاول
تمثيل مستانف ضربه الله لك مثلا لاصحابه عليه السلام
حيث قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم
يوما فيوما بحيث اعجب الناس وفي بيان ان وصفهم مسطور
في التورية والانجيل زيادة تبشير وتوقير لهم وافادة انهم عنده
بمكانة وعلو قدره حيث ذكر في الكتب الالهية نعوتهم وتقريع
لاهل الكتاب حيث كانوا يتلون الكتاب ويعرفون ما فيه من
نعوت النبي عليه السلام ثم يكتمون الحق وهم يعلمون هذا ومعنى اخرج
شطأه افرخ من اشطاء الزرع اذا افرخ اي مثلهم في الانتقال
من كمال الضعف الى كمال القوة على سبيل التدريج كمثل الزرع في حركته
الكمية في النمو والتدريج في اطواره الى ان بلغ غايته حيث اخرج

قوله كزرع تمثيل مستانف
او تفسير اخرج شطأه اي هم
كزرع اخرج فراخه وسنبله

فراخه في بدا النخو قوله كزرع فيه اوجه احدها انه خبر مبتدا مضمر اى
مثلهم كزرع فسرهما المثل المذكور الثاني انه حال من الضمير في مثلهم
اى مماثلين زرعا بهذه الصفة الثالث انها نعت مصدر محذوف
اى تمثيلا كزرع ذكره ابو البقا قوله شطأه قرا اهل الكوفة
والشام بفتح الطاء والعامة باسكانها وهما لغتان كالنهر
والنهر وقرا ابو حياة شطاءه بالمد وزيد بن علي شطاه
مثل عصاه بالالف صريحة بعد الطاء فيحتمل ان يكون بدلا من
الهمزة بعد نقل حركتها الى الساكن قبلها على لغة من يقول المراة
والكماة بعد النقل وهو مقيس عند الكوفيين ويحتمل ان يكون
مقصورا من الممدود وابو جعفر ونافع في رواية شطه بالنقل
والحذف وهو القياس والجحدري شطوه ابدل الهمزة واوا
او يكون لغة مستقلة وهذه كلها لغات وفيه ثلثة اقوال
احدها ان الشطاء شوك السنبل قاله قطرب والثاني
انه السنبل فيخرج من الحبة عشر سنابل وتسع وثمان وهذا
قول الكلبي والفراء والثالث انه فراخه الذي يخرج من جوانبه
ومنه شاطئ النهر جانبه وهو قول الاخفش وابي عبيدة وجمعه
اشطا يقال اشطا الزرع فهو مشطي اذا افرخ فآزره
من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار بمعنى الاعانة
اى قواه واوصله بتهييج القوى النامية من رتبة الضعف

الى رتبة

٥٧

الى رتبة القوة قال المبرد معناه ان هذه الافراخ لحقت
الامهات حتى صارت مثلها وقرا ابن عباس فازره
مقصورا وقال الفراء ازرت فلانا ازره ازرا اذا قويته
من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة قوله
فاستغلظ فانتقل من حد الرقة الى حد الغلظة يعني فصار
غليظا بعد ما كان رقيقا قوله فآزره قرا العامة على المد وهو
افعل وغلطوا من قال انه فاعل لمجاهد بانه لم يسمع في مضارعه
توازر على يوزر وقرا ابن ذكوان فازره مقصورا جعله ثلاثيا
وقرئ فازّره بالتشديد والمعنى في الكل قواه وقيل ساواه
فاستوى على سوقه فاستقام لاجل غلظته على قصبته
بعد ما كان يميل الى الاطراف لرقته والفا في المواضع الثلثة
لترتب كل لاحق على سابقه وتسببه عنه والسوق جمع ساق
اى على عوده الذي يقوم عليه ~~على قصبه واصوله~~ فيكون ساقا له
وهذا مثل ضربه الله للنبي صلى الله عليه وسلم اذ خرج وحده فايده
باصحابه كما قوى الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى كثرت
وغلظت واستحكمت وقرا ابن كثير سوقه مهموزا والباقون
بلا همز وفيمن اريد بهذا المثل به فيه قولان احدهما ان محل
الزرع عبد المطلب اخرج شطاه اخرج محمدا عليه الصلاة والسلام
فآزره فقواه بابي بكر فاستغلظ بعمر فاستوى بعثمان على

سوقه علي بن ابي طالب استقام الاسلام بسيفه قال ابن عادل
قوله على سوقه متعلق باستوى ويجوز ان يكون حالا اي كائنا
على سوقه اي قايما عليها وفي الانجيل انهم يكونون قليلا
ثم يزدادون ويكثرون يعجب الزراع بسرعة تقلبه في اطوار
النمو وتعاقب المراتب المتفاوتة في الشدة والضعف
عليه حكاية لطيفة وهو مثل ضربه الله لاصحابه عم قلوا
في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما
بحيث اعجب الناس يعني خرج رسول الله صلعم وحده ثم اتبعه
من ههنا قليل ومن ههنا حتى كثروا وقوي امرهم قال ابن عادل
اي اعجب ذلك زراعه اي هذا مثل ضربه الله لاصحاب محمد الخ
قوله يعجب الزراع حال اي متعجبا ليغيظ بهم الكفار
اما علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات • قال ابن
عادل ليغيظ فيه اوجه احدها انه متعلق بوعد الله لان
الكفار اذا سمعوا بعز المؤمنين في الدنيا وما وعد لهم في الاخرة
غاظهم ذلك الثاني ان يتعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع
قاله الزمخشري الثالث انه متعلق بما دل عليه قوله اشداء
على الكفار الخ اي جعلهم بهذه الصفات ليغيظ قال مالك من
اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلعم فقد اصابته هذه

الاية

الاية قال النبي المكرم صلى الله عليه وسلم الله الله في
اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله فيوشك ان ياخذه • قال عليه السلام
لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق
مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه وقال
صلعم يكون في اخر الزمان قوم ينبزون الرافضة يرفضون
الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون وعن ابن عمر قال صلعم
لعلي يا علي انت في الجنة وشيعتك في الجنة وسيجيء
قوم يدعون ولايتك لهم لقب يقال لهم الرافضة فاذا
ادركتهم فاقتلهم فانهم مشركون قال يا رسول الله ما علامتهم
قال يا علي انه ليست لهم جمعة ولا جماعة يسبون ابا بكر
وعمر رضي الله عنهما كذا في نهاية البيان منهم يجوز ان يكون
من فيه لبيان الجنس لا للتبعيض مغفرة لهفواتهم السيئات
واجرا عظيما في الجنة بالانقطاع من الكرامات قال بعض
العارفين يقرأ سورة الفتح للفتح والنصرة احدى و
اربعين مرة ظهر الفتح والنصر البتة من عند الله سبحانه
وذكر في خواص القران ان من كتب سورة الفتح وعلقها
عليه في وقت قتال او محاربة او خصومة فيها خوف

ادراكهم حقيقة الربوبية
وذلك في المعظم بان يجلسهم
على بساط القربة ويلبسهم لباس
نور الوصلة ويتوجهم بتاج المهابة
ويسقيهم من شراب الدنو واللقة
قال الله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا
قال العارفين في قوله ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ارسل الرسول وعظم حرمته
باضافته الى نفسه فمن لم يعظم من عظمه
الله فهو لقلة معرفته بعظمة الله ارسله
مبينا للشريعة مبينا احكامه داعيا
اليه وجعل طاعته لم ينفصل
الرسول عن الحق في الايجاب والنفي
والبلاغ والمشاهدة ولم يتصل به
من حيث الحقيقة وسئل الحلاج
متى كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا وكيف
جاء برسالته فقال يحق بعد في الرسول
والرسالة والنبي والنبوة اين انت
عن ذكر من لا ذاكر له في الحقيقة الا هو
وعن هويته من لا هوية له الا باهويته
واين كان النبي عن نبوته حيث جرى
القلم بقوله محمد رسول الله والمكان علة
والزمان علة واين انت عن الحق
والحقيقة ولكن اذا ظهر اسم محمد صلعم
بالرسالة عظم محله بذكره له بالرسالة
فهو الرسول المكين والسفير الامين
جرى في حفظ حرمته بسبب نيل درجاتهم
في الدنيا والاخرة ذكره في الازل بالتجلي
بين الملائكة والانبياء على اعظم محل واشرف
حال قال سهل في قوله سيماهم في وجوههم
من اثر السجود المؤمن من وجهه الله مقبلا
مقبلا عليه غير معرض عنه وذلك سيما المؤمنين

امن من ذلك جميعا وفتح عليه باب كل خير ومن كتب
على قرطاس ومحا بالماء وشرب منه ينفع لمرض الذخير
يسكن باذن الله تعالى ومن قرأها عند ركوب البحر
امن من الغرق باذن الله تعالى ومن قراءها فكانما
بايع محمدا صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة والحمد لله على كل حال

قد تم التفسير بعون الله الملك القدير
من جمعه وتفسيره في اول يوم من
ربيع الاول من شهور السنة
سبع ومائة والف
من هجرة من له العز
والشرف





الحمد لله الواضع كل شيء على التمام ... والخالق من بيده تيسير امر الاتمام
وهو الله في الاولين والآخرين ... لا اله الا هو بالابداء والاختتام
والصلوة على خاتم ذوي الرسالات ... ما تقدم الصلوة وتأخر السلام
وعلى آله واصحابه والتبع ... والركع والسجود طوبى لهم وحسن ختام
ثم النسخ هذه وان وقع فيما وقع ... مما جبلت عليه الطبايع وسجية الانام
لكن لو اقتفينا الاصل كل الاقتفاء ... لكان فيه ما فيه من اعجوبة المقام
وذلك يظهر باذن الله تعالى من قبله
فضلا عن تدبير ذوي الفضل الكرم